روايات الهلال

القمر يولد على الأرض

مجيد طوبيا

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

القمر يولد على الأرض

بقلـــم

مجيد طوبيـا

●

دار الهـــــلال

الغلاف للفنان : حلمى التونى

الرسوم الداخلية مهداة من الفنان : سعد الدين

الفصل الأول

العدو يتحرش

39,00

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

مصر فى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد ..

الشمس فى منحدر الغروب ، بعد رحلة النهار ، وقد أدفأت الزرع والحيوان ، وأنارت البلاد والناس ..

انعكست أشعة الغروب على صفحات النيل المبارك ، الذى وفى بفيضانه ، فكست الخضرة شاطئيه ، وسعدت الحقول ، ورقصت قلوب البشر ، وطربت الآلهة .

على رصيف مدينة منف ، العريقة ذات الأسوار البيضاء ، وقريبا من مركب أبيه ، وقف الصبى « نشى » يرقب فى غيظ سفينة فاخرة تنحدر آتية من الشمال .. بحارتها مصريون حليقو الرؤوس عراة الصدور ، يسترون عوراتهم بتنورات بيضاء بسيطة : زيهم المميز من قبل أن يبنى الملك خوفو هرمه الاكبر . لكن ركاب السفينة ملتحون ، علامتهم فوق السارية تقول إنهم أسيويون ، هكسوس أنجاس !

توتر الصبى « نشى » غضبا .. تحفز لالتقاط حجر يرميهم به ، لكنه شعر بيد قاسية تجذبه من الخلف ، التفت فرأى رجلا تجهما ، فأمره بالابتعاد ، ثم راى حاكم مدينة منف وكبير كهنة معبد الإله بتاح وعددا من الموظفين يقفون فى تأدب ونظرات ذليلة ، يتابعون السفينة حتى رست ، ونزل منها بعض السيتو (الأسيويين) .. تقدم زعيمهم بجبته المستديرة ليتلقى فى غطرسة ترحيب كبراء المدينة به ونفاقهم .

رمقه « نشى » فى عداء .. سبه ولعنه فى سره ، ثم تحفز ليشتمه بصوت عال . انتصب بقامته لينفذ عزمه ، لولا أن أحس بيد حنون تسحبه من معصمه الايسر بعيدا . كانت أمه قد افتقدته وجاءت تبحث عنه فى المرفأ ، تعرف أنه يحب النهر مثل والده ، صاحب مركب البضائع الذى يعمل على طول مجرى النيل المبارك ، بين مدينتى منف وشمون (الاشمونين) حيث تبدأ بعدها دولة طيبة المصرية وفرعونها الصعيدى « سقنن رع » .

فى الدار جعلته أمه يغتسل قبل أن يجلس معها هو وزوجها لوجبة العشاء . أمسك « نشى » بأول لقمة وقال :

ـ سأصبح نوتيا فى أسطول طيبه المصرى .

احتقن وجه أبيه :

ـ « سقنن رع » ليس له أسطول !

ثم أمره بالأكل فى صمت .. وكانت الشائعات قد تناثرت بين أهالى منف أن كهان الصحراء ونساكها تنبأوا بأن عظيما يأتى من طيبه سوف يخلص مصر من حكم الأغراب ، وتوقع الناس أن يكون هذا العظيم المنتظر هو « سقنن رع »

شبع نشى ، وقال فى عناد وهو ينهض :

ـ سأصبح محاربا فى أسطول طيبه النهرى وأحارب الهكسوس .

لهذا كانت أمه دائمة الخوف عليه . قالت لها أمومتها إنها سوف تستيقظ ذات صباح ولاتجده ، بعد أن يكون قد هرب إلى الصعيد ، إلى طيبه مدينة الاله أمون رع ، وعاصمة فراعين مصر العليا ، من الأشمونين حتى جزيرة الفنتين !

لكن زوجها رغم تجهمه الظاهرى كان متعاطفا مع ابنه ، لعن فى سره فراعين الماضى الضعفاء الذين حكموا مصر قبل مائة عام !

● ● ●

قبل أكثر من مائة عام حكم مصر ملوك توافه ، فوهنت قبضة العاصمة ،

وفحش ثراء حكام الأقاليم ، واغتروا بأنفسهم ، وأطلقوا رجالهم المسلحين يجبون الاتاوات . فى البداية اعترفوا بالملك اعترافا رمزيا ، ثم توجوا انفسهم ملوكا على أقاليمهم ، ودخلوا فى صراعات .. فسادت الفوضى أرجاء البلاد . اختل النظام وضاع الأمان ، صار الأخ يقتل أخاه ، واللصوص يكمنون بين البوص ويسلبون المسافرين !

تبلبلت أفكار الناس وانقسموا الى أنواع ثلاثة : مطحون لا وقت عنده للتأمل ، وآخر رأى الفوضى وعلم أسباب الفساد واستسلم لها ، وثالث جهل الأسباب فراح ينوح نادباً حظه :

ـ ألا ليت ذلك يكون نهاية البشر ، فلا يحدث حمل أو ولادة ، كى تهدأ الأرض من خصومات لاطائل منها !

تمنى الكبار نعمة الفناء ، وصرخ الصغار :

ـ ليت أمهاتنا لم يلدننا !

ودفع اليأس بالجوعى الى مقت الحياة والانتحار ، فلم تعد تماسيح النهر تخرج إلى الشاطىء لاقتناص ضحاياها ، بعد أن قادتهم أقدامهم إليها !

طالت المحنة ، ومرت السنون وزاد التردى فجاء الهكسوس مثل السوس !

اغتسل الصبى « نشى » ثم انزوى فى فناء الدار ، يراقب النجوم وهو قابع فى الظلام . فحمل أبوه مصباحا وجلس قربه يرمقه فى حنان ، ثم تنهد شاردا ..

منذ أكثر من مائة عام ، عندما ضعف الملوك واستقل حكام الأقاليم ، كان من بينهم أحمق اسمه « نحسى » جعل من نفسه فرعونا صغيرا ، مملكته فى شرق مصاب النهر (شرق الدلتا) .. وجعل عاصمته مدينة « حاو عره » ومعناها قصر الأرض المنحدرة (فاقوس) كانت تهيمن على منفذ طرق حورس المؤدية الى سيناء مفتاح آسيا ، والى مدينة جبيل (شمال بيروت) أرض الأخشاب القوية ، أخشاب السفن الكبيرة التى

تسبح فى البحر المالح (المتوسط) وفى النيل العذب .

فرح « نحسى » الأحمق باستبداده بحكم هذه الرقعة ، وكانت عاصمته ذات رواج وأسواق عامرة ببضائع الدول والممالك ، تخرج القوافل منها الى اسيا وتعود اليها . ولم يتنبه الى تسلل رعاع الآسيويين مع هذه القوافل سنة بعد أخرى ، واستيطانهم « حاو عره » حتى صاروا الأغلبية . تبعهم طوفان جائع من أجلاف البدو الأجانب ورؤسائهم الرعاة ، فقتلوه وأبادوا أتباعه ، وجعلوا من مدينته عاصمة لهم ، ثم زحفوا الى منف فوقعت بين براثنهم دون مقاومة ، منف العريقة ذات البهاء والأسوار العالية البيضاء ، عاصمة الشمال والجنوب منذ عهد « مينا » .. وفيها قام زعيمهم بإعلان نفسه فرعونا ، وباركه كهنة الاله بتاح ، خوفا على ثرواتهم التى ينهبونها من أوقاف المعبد !

مع أن الدين منذ القدم كان طريقا للتطهر وإتقان العلوم ، زمن الكهنة العلماء الحكماء ، مثل « إيمحتب » كبير كهنة « أون » المقدسة ، المهندس والمنفذ لهرم الملك زوسر ، والمبتكر لنظام البناء بالحجر ، ليبقى الهرم واسمه خالدين خلود الآلهة ، وكان أيضا طبيبا يعرف كل علة ودواءها ، وأديبا تدرس حكمته للتلاميذ فى بيوت الحياة (المدارس) ... كان قبساً من بتاح رب الصناع والفنانين وخالق المدن . لذلك فهو عندما استراح من الدنيا ذهب ليعيش مع الآلهة بين النجوم .

ضعف الفرعون وفسد موظفوه وكهنة المعابد ، فأعطت الآلهة ظهرها لمصر ، وصار زعيم الرعاة الأجانب فرعونا يسكن « حاو عره » يحكم شرق مصاب النيل حكما مباشرا ، خضع له حكام الأقاليم حتى حدود مملكة طيبه ، ودفع له الجزية ، أمراء آسيويون مثله أو مصريون أذلاء .. وحامياته منتشرة فى كل مكان !!

هؤلاء الهكسوس ورعاياهم يعبدون « سوتخ » رب الأراضى البور غير المأهولة ، ويقدسون الحمير ، ويدفنون موتاهم داخل البيوت ! .. نهبوا الجبانات والمدن المصرية ، وبنوا معبدهم فى « حاو عره » بأحجار منف وسقارة !!

جاءوا بالأحصنة التى لم تكن شائعة فى مصر ، وبأسلحتهم الغريبة ، البلط والخناجر ، ومازالوا يصنعون منها المزيد كل يوم ، من خام النحاس والبرونز المستورد (من قبرص) .

● ● ●

نظر الأب إلى ابنه « نشى » وربت على كتفيه . فقال الصبى :

ـ خذنى معك يا أبى فى رحلتك التالية . أنا لم أعد طفلا !

ـ وماذا عن دراستك ؟!

ـ تعلمت مايكفينى ، أنا أقرأ وأكتب وأحل المسائل الحسابية ، وأرسم النقوش الجميلة .

أطرق الأب مهموما متردداً . الصبى معه حق ، يجب أن أعلمه الملاحة والاعتماد على النفس ، شاخ العمر وقريبا أرحل عن الدنيا ، ويصبح هو مسئولا عن أمه .

سأله « نشى » :

ـ لماذا جاء الأجنبى الوسخ الى منف ؟ وماذا يريد ؟

ـ المزيد من الضرائب ، وكأن مانهبوه لم يشبعهم !

لكن المبعوث الهكسوسى كانت له وجهة أخرى ، ومنف محطة فى الطريق ، كان حاملا رسالة من زعيمه « أبوفيس » الخسيس الى فرعون طيبه المصرى « سقنن رع » .

كانت دار الحاكم فى وسط المدينة ، تحيطها حديقة فواحة بأريج الزهور وأسوار عالية وحراس أشداء .. الى جوار المدخل الخارجى غرفة البواب ، يتفرع منها ثلاثة ممرات ، يؤدى الأول الى جناح الحريم المكون من اثنتى عشرة غرفة ، والثانى الى جناح الخدم والمطبخ والمخازن ، والثالث الى أحسن الحجرات ذات الأروقة والأعمدة واليها دخل المبعوث الهكسوسى ومرافقوه ، والحاكم يردد كلمات الترحيب ، والكاهن يتذلل بعبارات الزلف !

بعد احتساء الجعة والأنبذة ، كانت الوليمة العامرة ، دجاجا وأوزا ولحما بقريا ، مشويا ومحمرا ، وأنواع الحساء ، ثم الفاكهة والحلوى .. وبعد أن ملأوا بطونهم توجهوا الى مؤخرة الدار حيث الساحة الفسيحة المكشوفة وشجيرات الورود .

رغم امتداد السهرة أخفق الحاكم وكبير الكهنة فى معرفة سر مهمة المبعوث الى طيبه ، رغم اسرافه فى شرب الجعة . وحتى لو زل لسانه وتكلم لما صدقوه وظنوا حديثه تخاريف سكر !

والذى حدث أن زعيمه « أبوفيس » الخسيس ، المقيم فى عاصمته « حاو عره » والذى نهب حاصلات وطيبات « دميره » أى مصر ، هذا الأجنبى كانت لديه رغبة فى النقار مع « سقنن رع » فرعون طيبه ، فأرسل مبعوثه هذا برسالة كلها تحرش وشذوذ !

فى أخر الليل والقمر مازال فى السماء بدراً ، وقبل بزوغ الفجر بقليل ، توجه المبعوث ومرافقوه والحاكم وكبير الكهنة واتباعهم الى ثغر منف ، يسبقهم حملة المشاعل ينيرون الطريق ويبعدون الكلاب النابحة ، ومن ورائهم الخدم يحملون الدجاج والأوز الحى والبيض والسمن والفاكهة وقوارير النبيذ والجعة ، وهدايا أخرى وضعوها فوق السفينة !

قبل أن يصعد المبعوث سمع من يصرخ بصوت عال :

ـ أيها الاجانب ، حانت نهايتكم فى مصر !

توتر الحاكم والكاهن وحاشيتهما ، لكن المبعوث التفت فى برود الى رجل رث الثياب ، وسأله والخمر مازالت فى رأسى .

ـ متى أيها المجذوب ؟!

ـ عندما يولد القمر فى الدنيا !

نظر المبعوث الى البدر . ضحك وسعل ثم قال :

ـ هاهوذا القمر ولد فى السماء ، ومازلنا نحكم والى الأبد !

ترنح مخمور الخطى الى السفينة . ورفع الملاحون المرساة ثم بدأوا يجدفون .. مازال أمامهم تجديف ثمانية نهارات على الأقل حتى يصلوا حدود طيبه ..

بعد ابتعاد السفينة التفت الحاكم غاضبا الى المجذوب رث الثياب :

ـ سوف أجلدك أيها المتنبىء المعتوه !

لكن كبير الكهنة قال له :

ـ دعه ، لكم أتمنى لو صدقت نبوءته !

● ● ●

فى كل إقليم حط فيه المبعوث ساعة الغروب ، أكل وشرب وأخذ الهدايا الزاد .. وكانت استراحته الأخيرة فى الحامية الهكسوسية بالأشمونين ، حيث أخر الحكام الخاضعين لهم . وقبل الفجر ارتحل جنوبا .

بمجرد وصوله الى ثغر طيبه الخالدة ، أخذه الحراس الى حضرة الفرعون « سقنن رع » مارين الى جوار بحيرة عجول النهر ، حيث ظل رقيبها بنظرات ماجنة !

فى القصر الملكى رحب به الفرعون على مضض وسأله :

ـ مارسالتك الى مملكتى أيها المبعوث ؟

رد الخبيث :

مليكى « أبوفيس » المحمى بالاله « سوتخ » يطلب منك أن تأمر عجول النهر فى بحيرتك بالهجرة بعيدا !

دهش الملك . وسأله :

ـ ماذا ؟!

ـ تأمر عجول النهر بالهجرة بعيدا !

ـ لماذا ؟!

ـ لأن أصواتها المزعجة تمنع مولاى من النوم ليلا ونهارا !

تساءل الملك كاظما غيظه :

ـ كيف تصل أصوات عجول النهر من طيبه جنوب البلاد الى « حا
عره » أقصى الشمال عند مصاب النيل ؟!

ـ هذا أمر مولاى ورسالته واضحة وعليكم الطاعة !

أمسك الفرعون أعصابه وقال :

ـ من حسن حظك أيها الأجنبى أننا لا نؤذى الضيف .

ثم أنهى المقابلة ، وأمر بإعادة المبعوث الى سفينته ليرحل على الفو
دون راحة ، ونفذت مشيئته .

وعلى الفور دعا « سقنن رع » رجال بلاطه واسمهم « الشنيت » فجاءو
يسبقهم « السمرو » سمراؤه المخلصون ، وأعاد على مسامعهم أقوا
المبعوث . فقال كبير السمرو :

ـ الأجنبى يتحرش بنا . جميع أقاليم مصر خضعت له ماعدا أسرتك ف
طيبه صمدت لأكثر من قرن ..

رد الملك :

ـ لعل جواسيسه أخبروه أننا نجمع الشباب وندربهم ونعد جيشا قويا
فأراد أن يسبق الى الهجوم قبل أن نتم الاستعداد . الآن نعرف ماينتظرنا
المبادرة بالجهاد .

ـ وفى التوقيت الذى اختاره أبوفيس الخسيس !

ـ ليكن مايكون ، وليسدد « أمون رع » خطانا .

ثم كان ماهو مسطور فى التواريخ . ترك « سقنن رع » ابنه « كامس
أميرا على المملكة ، وتوجه بجيشه شمالا الى ساحة الوغى يصحبه ضابط
المقرب الى قلبه « بب » ابن مدينة الكاب .

استشهد الملك بعشرات الطعنات ، وحمله السمرو الى قصره . ورغم
لك عجز الهكسوس عن اقتحام حدود مملكته ..

● ● ●

نظرت الملكة « إياح حتب » وكلها ألم ولوعة الى جثمان زوجها الحبيب ،
كان طائر الحزن قد حط بجناحيه فوق طيبه وداخل القصر العالى « برعا »
ومنعت الملكة دموعها ملتفتة الى نساء الأسرة والوصيفات والمولولات
صاحت آمرة :

ـ صمتا ، لانواح . لادموع . لاعزاء إلا بعد تطهير مصر من الانجاس .

التفتت الى ابنها الأكبر كامس :

ـ يا كامس ، أبوك صعد الى جوار الآلهة بين النجوم ، أنت الآن
لفرعون ، تنفذ مشيئة الاله ، أن تسحق الهكسوس سوس الأرض .

استدارت تنهر الحريم :

ـ قلت صمتا ، هذا وقت الجد . زوجي الآن سعيد فى السماء . دعونا
جهزه لرحلته الى الحياة السرمدية ، ليعيش من جديد فى فرح وحبور على
طئان بحيرة السوسن فى جنة الخالدين .

التفتت الى ابنها الأصغر أحمس . رأته يقاوم البكاء ، قالت مشفقة :

ـ الحزن ليس عيبا يا أحمس ، ودموع الرجل على أبيه ليست عارا ،
نني أريدك متجلدا ، أريدك عونا لأخيك كامس ، خرجتما من رحمى ومن
لب رجلى هذا المسجى أمامنا ، أنظر اليه طويلا .. وأنت ياكامس وأنتم
جال البلاط والحاشية وقادة الجيش ، انظروا اليه مليا ، املأوا قلوبكم
قت العدو ، اقسموا على تطهير مصر من سوس الهكسوس ، وجميع
راتنا مخصصة منذ الآن لتمويل الجيش .

على دوى كلماتها وصل الكاهن الأعظم لمعبد آمون رع حزينا متكئا على
ساه . قال :

ـ لك الجلال أيتها الملكة المبجلة ، إرادتك من إرادة الاله . لنقطعن دابر

العدو ليس من مصر وحدها ، ولكن من على سطح البسيطة كلها

اقترب منها القائد الكبير « بب » متسأذنا لزيارة أسرته ، التفتت الما
الى ابنها كامس ، الذى أعطى الاذن للقائد فسار حاملا سنوات ك
واخلاصه للأسرة المالكة ، مؤمنا أن الاخلاص لها إخلاص للبلد والاله

فى داره استقبلته زوجته فى لهفة ، مرتاحة لعودته سالما ، ملتاعة ع
الفرعون الشهيد .

أما ابنهما « أحمس بن أبانا » الذى سمى على اسم أحمس لأنه و
بعده بأيام قليلة ، فقد تحول حزنه الى ثورة . قال له أبوه :

ـ ياولدى مكانك الآن الى جوار أحمس ، هو الآن الأمير الوراثى ، و
العهد .

ـ مكانى فى ساحة النضال .

ـ لست أنت الذى يختار موقعه أيها الضابط الصغير ، أنت تكون حي
يشاء الملك له الصحة والقوة والكمال .

● ● ●

بعد تحنيط جثمان الشهيد ودفنه ، جلس ابنه كامس على العرش ف
البيت الكبير برعا .. فدخلت عليه « إياح حتب » بجلال هيبتها . لثمت رأ
تباركه ، ثم قالت فى روية وحكمة :

ـ أبوك الآن يرقبك من مثواه الأبدى . الآن نلت ألقاب الملك ورمو
المقدسة ، وبايعك الناس على تحرير البلاد ..

لثم كامس يدها . قالت :

ـ تذكر ياولدى ، ياجلالة الفرعون كامس لك الصحة والقوة والكمال
تذكر أن الاله هو خالق الملكية ، وأن جلالتك منفذ إرادته . هو الخا
الأوحد فى السماء وأنت الآمر الأوحد فى مملكتك . تحكم تحت را
« ماعت » راية الصدق والحق والعدل .

ـ لك المشورة ومنى القبول أيتها الموقرة .

ـ ضع يدك فى يد أحمس أخيك ، هو الأمير الوراثى ولى عهدك ، أطلعه على أسرارك فهو أهل ثقة . ضع يدك فى يد ضابطك (بب) الذى حارب الى جوار أبيك ، هو وقادة جيشك الأوفياء ، أما ابنه « أحمس بن أبانا » فاجعله ذراع أخيك اليمنى ، هما شابان ولدا فى أسبوع واحد مبارك ، يتأججان حماسة ونخوة ، فإن أنت توجهت الى الحرب المقدسة بقيت طيبه فى أيد وفية .

ـ تحت إشرافك طبعا ، ياذات الحكمة والرأى السديد .

وهذا ماجرى فى طيبه الحزينة الصامدة .

● ● ●

أما الهكسوس فقد احتفلوا فى عاصمتهم احتفالا ماجنا ، وقام رئيسهم أبوفيس الخسيس بتقديم أضحية الشكر الى معبودهم سوتخ !

وفى منف تظاهر الحاكم بالاحتفال والبهجة ، وقلبه حائر بين الخضوع لسادته الآسيوين وبين كونه مصريا يرى بعينه كل يوم أهرامات القدماء زوسر وخوفو وخفرع ومنقرع ، ومعبد الاله بتاح ، وتطارده نظرات « أبوالهول » الغامضة !

أما الفتى « نشى » فقد بكى وانتحب .. وعندما رأى المجذوب المتنبىء بثيابه الرثة وسمعه يردد :

ـ « من طيبه يأتى مخلص مصر ، يوم أن يولد القمر فى الدنيا .

نزلت دموع « نشى » :

ـ لقد قتلوه أيها المتنبىء . دائما تقول يوم أن يولد القمر فى الدنيا ، والقمر يولد فى السماء . أنت مخرف أيها المجذوب ، الهكسوس أقوى بأسلحتهم وربهم الشرير سوتخ !

بعد شهور قليلة زادت فجيعة « نشى » برحيل والده ..

احتار وتساءل لماذا الموت ؟ وأين يذهب الراحلون ؟

ردت أمه فى إيمان :

ـ ياولدى « نشى » . الانسان لايموت ، هو يترك دنيا الفناء الى دنيا البقاء ، حيث الشقاء للأشرار ، والهناء للأبرار .

ـ إلى أين ذهب أبى ؟

ـ الى عالم الموتى الطيبين ، فى رعاية « أوزير » زوج إيزيس .

ـ لماذا ؟

ـ لأنه أحب الجميع ، ساعد المحتاجين بقدر طاقته وأطعم الجائعين ، وكان الدين عنده معاملة طيبة للآخرين .

مر عام أو أقل وصار « نشى » وحيدا فى الدنيا ، خسر الأم من بعد الأب . هزلت صحته وفترت همته ، هجر العمل وفقد الأمل .. حتى أن نوتية مركب أبيه حثوه على الثبات والعودة الى النشاط ، لأن المركب مصدر قوت أولادهم ، ومصدر رزقه الوحيد !

ولأن الأيام تداوى الآلام ، فقد استرد « نشى » حيويته ، وارتحل بمركبه على طول مجرى النيل ، يعمل كثيرا ويستريح القليل ، يذهب حتى حدود الأشمونين ويرجع الى منف بالحنين ، يدفعه الهواء جنوبا ويعيده التيار شمالا ..

ذهب وعاد ، زار بلاد الصعيد . أكل فى كل قرية ومدينة ، فهم العادات حتى صار قادرا عل التمييز بين اللهجات .

وعاد اليه الأمل ، أن يأتى من طيبه مخلص مصر من الأجانب ، يوم أن يولد القمر فى الدنيا .

الفصل الثانى

القمر يولد

ذات غروب كان « نشى » يجلس على الشاطىء ، يتأمل رحيل رع بشمسه عن دنيا الأحياء ، عندما رسا مركب كبير آت من الجنوب . تأمل ركابه الوافدين ، توسم فى أحدهم سمة النبلاء وإن كان فى ثياب التجار ، ولم يعرف أنه الأمير أحمس شقيق كامس فرعون طيبه الجديد ، وأن مرافقه هو صديقه وحارسه « أحمس بن أبانا » فى ثياب التجار أيضا !

سأله الأمير عن مكان يبيت فيه ، وسأله « أحمس بن أبانا » عن مشرب الجعة . تأملهما مليا ثم اتجه للأمير :

ـ من أين أنت أيها الضيف ؟

ـ من الأشمونين .

تردد « نشى » قليلا قبل أن يقول :

ـ عفوا ياسيدى ، أظن أن موطنك أبعد من هذا !

تحفز « أحمس بن أبانا » لكن الأمير سأل فى هدوء :

ـ لماذا قلت هذا أيها الشاب النبيل ؟!

ـ لهجتك ولهجة صاحبك هذا ، لماذا هو متحفز ؟! .. هل ترى هذا المركب القوى ؟ أنا مالكه الوحيد ، طفت به على طول مجرى النيل المبارك ، من هنا حتى الأشمونين ، آخر المدن التى تدين بالطاعة للأجنبى

الخسيس أبوفيس !

نهره « أحمس بن أبانا » ليغير الموضوع :

ـ كف عن الثرثرة الضارة وأخبرنا أين مشرب الجعة ، ألا ترى أننا عطاش ؟!

ـ أنصحكما بعدم الذهاب إلى هناك !

ـ لماذا ؟!

ـ للحاكم عيون هناك ، وهو خاضع للأجانب .

احتار الأمير وصاحبه . لمعت عينا « نشى » :

ـ أنا أعيش فى بيتى وحيدا ، لا أب ولا أم ولا أخوة ، تعالا عندى وسنتفاهم ..

ثم انه أخذهما الى طريق غير مأهول ، حتى وصلوا داره ، وبعد الترحيب قال « نشى » مبتسما :

ـ أظن فيكما ما أظن .

سأله الأمير :

ـ ماذا ظننت فينا أيها الشاب النبيل ؟

ـ أنتما من طيبه

تحسس الضابط « أحمس بن أبانا » خنجره ، فقال له « نشى » :

ـ أنت تذكرنى بنصيحة أبى

ـ وماهى نصيحة أبيك ؟

ـ لاتجعل عضلاتك تسبق تفكيرك

ضحك الأمير معجبا ، وقال فى تودد :

ـ وماذا أنت فاعل لو كنا كما ظننت فينا ؟

ـ سأساعدكما ، وقد أرحل معكما الى طيبه .

ـ لماذا تريد الرحيل الى هذه المدينة البعيدة ؟

ـ للانضمام الى أسطول الملك كامس له الصحة والقوة والكمال .

أحضر لهما بعض الطعام وقارورة نبيذ ، فأكلا فى صمت ، والأمير يرمق « نشى » مليا .. وأخيرا أخبره أنهما من أتباع طيبه ويريدان بعض الأسلحة المصنوعة على طريقة الهكسوس من المعدن الجديد (البرونز) الأقوى من النحاس .

ـ هذه بضاعة غير معروضة للمقايضة ، لكن بالامكان سرقة بعضها من المخازن ..

ـ قد يكتشفون السرقة ويلحقون بنا ، لست وحدك الذى رأنا ، ولاتنس نصيحة أبيك الحكيمة : لاتجعل عضلاتك تسبق تفكيرك !

ـ معك حق ياسيدى . دبرا الأمر . أنا لست إلا فتى يمتلك مركبا قويا ورثه عن والده !

ـ بل لديك ماهو أثمن من عشرات المراكب .

ـ تقصد هذه الدار المتواضعة ؟

ـ أقصد نخوتك وعزة نفسك وحسن تربية أبيك لك .. هل سبائك الخام عليها حراسة مشددة ؟

ـ سبائك الخام مشونة على شكل كتل ثقيلة خارج سور المدينة قرب الشاطىء ، دون حراسة تقريبا ، كميات هائلة منها .

ـ ستنجح مهمتنا بفضلك يانشى ، وسوف يسعد قلب الملك كامس ، له الصحة والقوة والكمال . خذنا الى هناك .

ـ بشرط أن ....

قاطعه الضابط أحمس بن أبانا :

ـ لاتشترط على الأ ..

لكن الأمير أسكته بإشارة وابتسم لنشى :

ـ لك ماتريد أيها العزيز .

ـ أن أذهب معكما الى طيبه

ـ لك هذا أيها الشجاع ، وسوف نحتاج الى مركبك القوى .

تسللوا بين أشجار النخيل الى الأرض الفضاء التى بها سبائك الخام ، وحمل كل واحد منهم كتلة صماء من خام البرونز ، توجهوا بها الى مركب الأمير خلسة ، كرروا ذلك عدة مرات حتى امتلأت ، ثم شحنوا مركب نشى ، الذى انتقل اليه بعض النوتية .

قبل الفجر تحرك المركبان يدفعهما الهواء جنوبا ، وقد غطوا الخام المسروق ببضائع التموين العادية ، وقام الاله آمون رع بالستر عليهم وتسهيل مهمتهم يوما بعد يوم ، حتى دخلوا حدود مملكة طيبة ..

عندئذ قال « أحمس بن أبانا » للفتى نشى :

ـ أيها الشجاع البطل ، قم وقدم التحية لسمو مولانا أحمس الأمير الوراثى لطيبه .

على الفور انحنى نشى فى ولاء . فأخذ الأمير بيده :

ـ منذ الآن أنت جندى فى أسطول أخى جلالة الملك كامس له الصحة والقوة والكمال ، وبالاجتهاد قد تصبح قائد سفينة .

ـ أنا بالفعل قائد وصاحب سفينة ياسيدى !

ضحك الأمير :

ـ لاتتعجل . كل شىء له علم وأصول ، سوف يجعل منك ضابطر

وصديقى « أحمس بن أبانا » هذا جنديا بارعا .

ـ وأنا أريد من سموك خدمة كبيرة .

ـ لك ماتريد

ـ أريد مقابلة الملك له الصحة والقوة والكمال

ـ لماذا أيها « النفرو » ؟

ـ كى أهديه مركبى هذا .

● ● ●

بمجرد وصولهم الى طيبه ، أخذه الأمير الى مقابلة أخيه .. ثم أخذه لمقابلة الملكة الأم « إياح حتب » المبجلة التى احتضنته بنظرة إكبار ، تأملته فى حب وقالت :

ـ الآن وهبنى الاله ابنا حبيبا ليس من رحمى .

مر أكثر من عامين على استشهاد « سقنن رع » وصار نشى مقاتلا ماهرا . كانت أول سرية التحق بها مكونة من مائتى نفرو ، وأول رتبة له رئيس عشرة نفرو ، ثم ترقى حتى صار رئيس مائة .

وعند تمام التدريب التأمت السرايا فى كتيبة حديثة العتاد ، ثم التحمت الكتائب فى فيالق ، كل فيلق يضم خمسة آلاف راكب وراجل ، أخذ كل منها اسما ذا مغزى ، مثل فيلق الناصر آمون ، وفيلق الظافر بتاح ، وفيلق الأقواس المشدودة ، والمغاوير الشجعان .

لكن الأمير أحمس اختار لنشى أن يكون جنديا بحريا ، ورقاه عن جدارة الى قائد مركب خفيف يجيد المناورة السريعة والمناوشة بالانقضاض ثم الابتعاد ، تلدغ مثل بعوضة الليل وتختفى ، أو تطعن وتربك مثل نحلة النهار ، وذلك بعد أن اجتاز دروس المصارعة والتسلق والمبارزة والعدو ، وضرب الخصم بالترس ، واستخدم البلط والخناجر والسيوف المقوسة الحديثة ، ومهاجمة الحصون وثقب أسوارها ، والتستر خلف المتاريس أو

تحت الدروع الواقية من السهام والحجارة التى سوف يلقيها حراس الحصون ، بعد ذلك تعلم التصادم بالمراكب والتجديف ضد التيار

وكانت الملكة الأم تتابع أخباره ، وتدعوه الى مائدتها فى الإجازات وتراقب مزهوة تحوله الى مقاتل سليم البدن خفيف الوثب شديد الذكاء ومن فرط حبها له فكرت فى اختيار عروس له .

أما هو فلم يكن مشغولا بالبنات . أحس رغم مهارته أنه ضعيف مقارنة بالأمير أحمس وضابطه . كان الأمير وحده قادرا على شد القوس حتى نهاية أذنه ، ليخرج السهم بدوى فى الهواء ويخترق هدفا خشبيا سمك عرض إصبعين ، بارعا فى ركوب الخيل وترويضها ، لايضارعه مقاتل فى رمى السهام من فوق العربات الحربية المندفعة ..

وكانت مسابك طيبه وورشها قد حولت خام البرونز الى خناجر وسيوف أقوى من النحاس ، وتماثل تلك التى فى أيدى الهكسوس .

وكان الفرعون كامس يتابع بنفسه تصنيع الأسلحة بزياراته المتكررة للورش ، ويطلع أمه الباسلة « إياج حتب » على جميع التطورات .. بعد أن اطمأن الى وفرة السلاح والعربات وبراعة الرجال ، جلس فى قصره يفكر ثم أمر باستدعاء الحكماء وسمرائه الأوفياء .

كان فى العام الثالث من جلوسه المبارك على عرش أبيه الشهيد . قال لمستشاريه وقادته :

ـ أريد أن أعرف ، مامعنى قوتى إذا كان فى شمال مصر رئيس آسيوى له عاصمة « حاو عره » شرق مصاب النيل ، وفى جنوب الفنتين عاصمة آخر ، وكل واحد منهما يسيطر على مساحة من البلاد ! .. مامعنى قوتى إذا كنت لا أستطيع أن أدخل منف عاصمة القدماء ؟!

عندئذ استأذن قادة أفرع الجيش واحدا تلو الآخر يقدمون تقاريرهم عن أحوال قواتهم ، وكانوا جميعهم جاهزين .

قال الملك وهو يرمق أمه المبجلة :

- إذن حانت ساعة الجهاد .

فابتسمت الأم راضية منتعشة بالأمل .

● ● ●

اتكل كامس على أن أمون رع إله كل المصريين ، وقام بحشد جنوده فى البر ومراكبه على النهر ، واتجه شمالا يسبقه جيشه القوى . كلما ضادفوا موقعا فيه اسيويون أو أعوانهم الأذلاء هاجموه وطهروه ودكوا أسواره وذبحوا من فيه .. وصادر كامس المواشى وجميع المخزون من جبن وعسل وجعله لتموين جيشه ، ووهب الفائض لجنوده الأبطال ، ثم واصل الصعود شمالا مع مجرى النيل ، يجتاح فلول أتباع أبوفيس الخسيس ، إلى أن لاحت له منف بأسوارها البيضاء وحرر المدينة ، فصارت ورشها تصنع الأسلحة القوية له من الخام المشون بها .. ثم توجه يقتحم أرض مصاب الذهر ..

لكنه اضطر للتوقف ، عندما أسر كشافته مبعوثا أسيويا آتيا من مدينة « هاو عره » برسالة موجهة من « أبوفيس » الخسيس الى حاكم جنوب الفنتين الموالى له ، يطلب منه المشاركة فى قتال مؤخرة كامس ، على وعد اقتسام مصر كلها فيما بينهما بعد الانتصار ، فأحس كامس الخطر يهدد طيبة ذاتها ، عندئذ قرر العودة والاستعداد للجولة التالية .

عندما وصل الى عاصمته جن الناس به فرحا ، لقد عاد كامس وجنوده امامه ، لم يتآمر أحدهم ضد رفيقه ، ولم تشتك منهم قلوب الناس . أصبح إقليم طيبة فى عيد ، وهرع الرجال والنسوة يتطلعون اليه ، وأسرعت كل زوجة تعانق زوجها .. وجفت دموع الانتظار واللهفة ..

فى فترة الهدنة هذه تزوج « أحمس بن أبانا » من فتاة جميلة ذات أصل وبهاء ، وجمال ودفاء ..

وكان أكثر الناس فرحا هو قائد السفينة الخفيفة نشى الذى همس لنفسه :

- إذن فقد ولد القمر فى الدنيا !

لكنه لان واهما ، لأن تحرير مصر لم يتم ، ولأن دموعه ودموع جـ
الناس ذرفت مدرارا يوم أن استراح كامس فجأة من الحياة الدنيا وص
الى السماء ليجلس مع والده والالهة بين النجوم .

دفن جثمانه الطاهر مع أفراد أسرته الراحلين غرب طيبه ، بين لوعة
وأخيه وقادة جيشه والشعب ، وقائد السفن أحمس بن أبانا المنحدر
مدينة الكاب ، وقائد السفينة الخفيفة نشى ابن منف ..

كان للاله أمون رع تخطيط آخر لصالح مصر ، صار الأمير أحـ
الفرعون الجديد .. عندئذ شهق نشى متنبها ، وقال للقائد الكبير « أحـ
بن أبانا » :

ـ كم كنت مغفلا . صدق مجذوب منف المتنبىء عندما ظل يرد
سيأتى من طيبه رجل يخلص مصر من الهكسوس ، يوم أن يولد فى الـ
فى الدنيا .. الآن فهمت ، اسم مولانا أحمس يعنى : القمر ولد فى الدنيـ
الآن أثق تماما أنه المحرر المنتظر .

بعد مراسم التحنيط والدفن والتتويج ، تحرك الملك أحمس شمالا :
رأس جيوشه برا ونهرا ، يدير حركة سفينته الضابط نشى .. وتركت طـ
فى رعاية الملكة الأم « إياح حتب » تأمر فيطيع الناس ، تعاونها زو
أحمس ذات الهمة « أحمس نفرتارى » ومعنى اسمها أحمس الجميلة ،
القمر الجميل ولدت فى الدنيا .

تقدم الملك قاصدا سحق الهكسوس ، السوس الذى ظل ينخر فى مـ
أكثر من مائة عام ، حتى دخل منف ، فقام نشى بزيارة سريعة لقبرى
وأبوه ..

ثم اندفع الفرعون الى أرض مصاب النهر (شرق الوجه البحرى)
حاو عره عاصمة أبوفيس ، فحاصرها حصارا مميتا ، وراح يشدد الضـ
عليها وعلى جنودها الآسيويين ، الذين كانوا يصنعون أسلحتهم
ورشها ، مما أعطاهم قوة متزايدة .. وإزاء بأس أحمس وجنوده لم يـ

هكسوس تقديسهم للحمير ، وتخلى عنهم إلههم سوتخ ..

اقتحم جنود مصر الأسوار ، ودكوا المدينة عن آخرها .. وهرب الناجون نوب الشرق ، ولم يتراكم أحمس ، كانت إرادة أمون رع أن يقطع دابرهم ن على وجه البسيطة ، فتتبع الملك أقفيتهم حتى فلسطين ، حيث كانوا حصنوا بملاذهم الأخير ، حصن « شاروهن » المنيع !

في سنوات الحرب الطويلة أثبت « أحمس بن أبانا » بسالة نادرة ، فوق طح النهر قائدا للسفن ذات البوارج ، وفوق الأرض راجلا في حضرة لاه . أظهر تفوقا في تدمير « حاو عره » وفي حصار حصن الهكسوس اخير في فلسطين « شاروهن » ..

أما ذات الهمة زوجة الملك فكانت في طيبة بمثابة الملك ، ترعى مع موظفين والأتباع أسر الضباط والجنود وجميع الفئات التي سافرت في دمة الجيش ، تجهز احتياجات المقاتلين ورسائل ذويهم وترسلها الى شمال .. وفي هدأة الليل تكابد الحنين لرجلها الملك ، تفتقد ضمة ذراعيه ويتين ..

صارت « أحمس نفرتاري » محبوبة الرعية ، يصطفون على جانبي طريق لتحيتها كلما خرجت الى المعبد لتقديم الشكر والدعاء للجيش .. ال غياب زوجها !

صمد حصن شاروهن أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يسقط ويسوى أرض .. ثم عاد أحمس ينشر الأمن في أقاليم الشمال ، وعلى طول ري النيل ، حتى وصل الى طيبة ، ليجد شعبه متلهفا لرؤياه ينتظره زهور وسعف النخيل ، ودموع الفرح .

أمضى الملك لياليه الآمنة في حضن زوجته ذات الهمة « أحمس تاري » العطرة نسي فيها شظف المبيت في العراء بين الجند وضجيج حروب والخطر الداهم وروائح العرق وغبار المعارك !

كذلك أمضى قائد السفن « أحمد بن أبانا » وقتا هانئا مع وجته التي

تركها عروسا بعد أن كانت علقت منه وانجبت فى غيابه ابنة جميلة فسمت « نفرتارى » أى جميلة .

بعد أن استراح الملك والجيش خرجوا للقضاء على فتنة المتمرد جنو الفنتين . انهمك أحمس بعدها يعيد الاستقرار .. بعد عشرين عاما من تول الحكم أتم مهمته المقدسة ، سحق الهكسوس ، وعاد الطمأنينة ، ضم ولاء الحكام على الحدود الشرقية !

وقت مكافأت الأبطال فاز « أحمس بن أبانا » بهدايا عظيمة ، عبي وأراض شاسعة ووسام « ذهب الشجاعة » .

● ● ●

وفاز نشى بوسام « ذهب الشجاعة » من طبقة « النحلة اللادغة وضيعة مساحتها سبعين أورارا (٥٦ فدانا) قرب مسقط رأسه منف وأصبح مشرفا على مصنع السلاح بها .. وسمح له الملك بالانصراف والزواج ، فمضى عائدا الى منف ، زار قبرى أمه وأبيه ، وأجرى الترميمات اللازمة ، وزرع الزهور من حولهما .. ثم قام بتجديد داره وإعادة فرشها

بعد شهور تزوج ، ثم أنجب وعاش حياة رغدة ، يتابع أخبار البط أحمس الذى أعاد فتح المناجم والمحاجر بعد أن كانت خربت زمن الاحتلا والفوضى ، قطع المرمر من قرب اسيوط ، والحجارة من المعصرة ، وجل الفيروز من سيناء .. ثم شيد لنفسه ولجدته قبرا تذكاريا فى أبيدوس شما طيبه .. أنجز معظم ذلك فى سنوات السلم الخمس التى عاشها بعد حرو ضد أعداء الداخل والخارج وجعل الجيش نظاميا لأول مرة .

أخيرا استراح بأن رحل الى رحاب الآلهة التى فرحت به ، وأخذ مكان بين النجوم ، بكاه الناس ، وظلت أرملته « أحمس نفرتارى » تبكيه وترى ابنهما الذى جلس على عرشه باسم « أمنحتب الأول » ومعناه آمون راض فراح يكمل انشاءات واصلاحات والده .

بينما ظل الضابط الوفى « أحمس بن أبانا » يرعى جيشه ويحافظ عل تجديد سلاحه ، وصحب مولاه فى حملاته الجنوبية حتى الشلال الثان

بهور بلقب « محارب الملك » الذى لم يسبقه إليه أحد ، وظل المحارب اوفى طول حكم الفرعون مدة عشرين عاما وسبعة شهور .

واستمر رغم شيخوخته وفيا لخليفته تحتمس الأول أعظم الملوك امحاربين البنائين ، سيد الكر والفر ، الأسد والنحلة ، داهية المعارك ، الك الفراعين العظماء الذين تفانى « أحمس بن أبانا » فى خدمتهم ، اقصى الجنوب حتى الشلال الثالث ، وعلى أرض آسيا وحتى نهر الفرات سد امبراطورية « ميتانى » .. وفى طريق العودة منها شارك مرح مولاه ، اسعدا قلبيهما باصطياد عدة أفيال !

ومن فطنة تحتمس الأول أنه جعل من منف قاعدة انطلاق الى آسيا ، امد جيشه بأحدث العربات الحديثة . ومن وفائه لمنبته حفظ لطيبة متيازها ، وكلف مهندسه المعمارى « إنينى » بتوسيع معبد آمون بالكرنك ، بحت ونصب مسلتيه هناك ، وجهز مقبرته (فى وادى الملوك) تأهبا ليوم احته من الدنيا .

ثم رحل « أحمس بن أبانا » بعد حياة حافلة ليدفن فى مقبرته التى كان عدها ..

● ● ●

اما نشى فقد أمضى شيخوخة سعيدة ، يرعى الضيعة التى منحها له بطل أحمس ، ويرى مسقط رأسه منف تستعيد عظمتها بسرعة فائقة ، شهد رواجا تجاريا ، وقد صارت مركزا للصناعات المعدنية ، الحربية لمدنية ، ومنارة الفن والثقافة والأبحاث التشريعية ، مقر وثائق الأماكن مقدسة . استعادت شموخها كما كانت دائما بوصفها « حكو بتاح » أو ر الاله بتاح ، خالق الآلهة والفنانين والنحاتين ..

عندما أحس العجوز نشى بقرب رحيله الى عالم « أوزير » الخالد ، جمع لاده ذكورا وإناثا ، وطلب منهم الحرص كل الحرص على الضيعة ذات سبعين أورارا ، وجعلهم يقسمون على ألّا تتجزأ فيما بينهم أو بين لادهم ، وأن يديرها أكبرهم سنا ، رجلا كان أو امرأة ، ويوزع ريعها

عليهم بالتساوى والتراضى ، وجعلهم يعدونه بأن يستمر هذا فى نسلهم أقسموا فرحل عن الدنيا قرير العين راضى القلب .. فهل تبقى الضب موحدة أبدا ؟!

دفن نشى بمقبرته التى كان أعدها ، على مقربة من معبد الاله بتاح خالق الدنيا الذى سمح بإقامة المدن ووضع الآلهة فى معابدها ، صاحب البداية الأولى ، أول من كان وأول إله فى الخليقة ، والذى عاش عصور لاحد لها واحتفل بعدد لايحصى من الأعياد الفضية .

توفى الجد نشى فى عهد تحتمس الثانى الذى حكم أقل من ثلاث سنوات تاركا تحتمس الثالث ملكا شرعيا من زوجة ثانوية . كان طفلا فقامت عمته حتشبسوت بدور الوصية عليه ستة أعوام ، وفى السابع استبدت بالحكم . قالت إن هذا حقها لأنها ابنة الملك تحتمس الأول وزوجة الملك تحتمس الثانى ، وأن هذه كانت وصية والدها ، ورغبة الاله آمون رع التى لاترد !

وشاع بين الناس حكاية مولدها التى أمرت هى فيما بعد بتدوينها على الحجارة ، فقد حدث قبل يوم مولدها بتسعة شهور أن رغب الاله آمون فى أن ينجب ملكا لمصر يقوم بتعمير المعابد ، ووعده سائر الآلهة أنهم سوف يرعون هذا الملك بمجرد ظهوره على الأرض .. ثم كان أن رأى آمون من مقره السامى شابة تصلح لأن تلد هذا الملك المرتقب ، وكان الى جواره ممثله الليلى « تحوت » إله القمر والنور بين النجوم ، فكلفه باستطلاع أمر هذه الشابة ، فنزل تحوت الى الأرض ثم عاد وقال :

ـ هذه الشابة اسمها أحمس ، وهى أجمل نساء مصر ، وهى زوجة الملك تحتمس الأول .

عند ذاك تسلل آمون فى جسد زوجها وتوجه اليها ، وكانت مسترخية فى قصرها البديع . فتحت عينيها على عبيره وابتسمت باشة فى وجهه ، فدنا منها مشعا بنور الحب وأخبرها عن نيته ، فانتعش فؤادها راضية وتركته

يسعد بها .. وكان للاله أن اتم معها كل ما أراد ، فهمست مأخوذة به .

ـ ما أعظم قوتك ياسيدى وجمال طلعتك ، لقد أنعش نداك كل جسدى ..

رد قائلا :

ـ يكون اسمها حتشبسوت ، تلك الابنة التى وضعتها فى رحمك ، وسوف تصبح الفرعون على جميع البلاد ، تحكم الناس مستمدة قوتها منى !

لأجل هذا خلقت الطفلة مكتوب عليها أن تكون من أهل الحظ والتوفيق والصحة ، وأن تطيعها الأمم والشعوب .

هكذا فتحت الطفلة عينيها على نور الحياة وهى مزودة بأفضل مايتمناه كل مصرى لمليكته وبمجرد أن ولدت جاء آمون ونظر اليها فانشرح صدره وأعلن أنها ابنته من صلبه .. ثم قامت عدة آلهات بإرضاعها رضاعة ملكية . شبت وكبرت وكان لابد لها أن تجلس على العرش محاطة بالجلال وتهليل شعب مصر !

أيدها كبير الكهنة « حابو سنب » فى روايتها ، ففرضت إرادتها على الرجال ، وارتدت أحيانا ثياب الفرعون الرجل !

وفرضت سحرها على صديقها الحبيب المهندس « سننموت » فأشرف على بناء منشئاتها العظيمة ، نحت من أجل حبها ونقل وأقام مسلتيها بالكرنك ، ومعبدها الجنائزى المدهش (بالدير البحرى) .. ونحت مقبرتها (فى وادى الملوك) بجوار مقبرة أبيها تحتمس الأول .

لكنها قبل موتها شاءت إرادتها أن تغضب عليه غضبة غيور ، ففرضت عليه عقوبة محو الذكرى ، وجعلت خدامها يكشطون اسمه من فوق جميع الأبنية !!

كل هذا يحدث بينما تحتمس الثالث كاظم غيظه ، ولمدة ثلاثة وعشرين عاما ، أمضاها فى قراءة الأدب والشعر وفن الحرب ، وفى دراسة معارك جده الفذ .. ما إن ماتت عمته المستبدة حتى عاقبها بمحو ذكراها ، كشط

اسمها من فوق كل حجر !

وكانت سلالة نشى فى منف قد تشعبت الى عدة أسر ، ولم يعد ريع الضيعة يفى بحاجات الورثة العديدين ، وكانوا جميعهم قد تعلموا فى بيوت الحياة (المدارس) فالتحق بعضهم فى وظائف تساعدهم على العيش ، منهم من عمل كاتبا فى أوقاف معبد الاله بتاح الشاسعة ، ومنهم من التحق بورش المدينة الصناعية ، أو بمعامل الجعة ، أو فى مراكز التوثيق المدنية ، بينما ظل أكبرهم سنا يشرف على الضيعة وتقسيم ريعها فيما بينهم بالتساوى ، تنفيذا لوصية الجد نشى الذى شارك فى طرد الهكسوس تحت قيادة أحمس ..

● ● ●

لكن حفيدا اسمه « باتا » اختار أن يلتحق بفرق الجيش فى منف برتبة ضابط مقررا أن يسلك مسلك جده الكبير . ما إن أتم فترة تجنيده ، حتى شارك فى الفتوحات العظيمة التى استهل بها تحتمس الثالث حكمه المنفرد ، والتى فاقت انتصارات جده وجميع الفراعين السابقين .

ذلك أن جلالته بعد أن أقسم بحب رع وفضل أمون ، توجه بجيشه النظامى الى آسيا لتأديب حكامها ومنع تحالفهم ضد مصر . هزمهم مثل جده واحدا تلو الآخر ، ثم توج نصره بدحر دولة ميتانى ، اخترع حيلة لم يسبقه اليها قائد ، قام بنقل سفنه فوق عربات خاصة ذات عجلات أربع تجرها الثيران القوية ، من سواحل مدينة جبيل (بلبنان) الى نهر الفرات بأقصى الشمال ، حيث أعاد تركيب السفن وعبر بها النهر وهزم الميتانى .

بعد أن حقق المعجزات الحربية ترك نصبا حجريا شاهدا على نصره ، وبأنه كان المقاتل الجسور ، المبدع الهمام ، القناص الداهية ، المهيب فى عيون جيوشه ، الرهيب فى عيون أعدائه ، وأثناء عودته فعل مثل تحتمس الأول وأسعد قلبه وتسلى بصيد قطيع من مائة وعشرين فيلا !!

ثم عاد الى أهله ومعه أبناء الحكام الاسيويين لضمان ولاء آبائهم ، جالبا معه أشجارا لم تكن تزرع فى مصر .

لكن « باتا » حفيد نشى بقى هناك ضمن إحدى الحاميات وعندما انتهت مدة خدمته رفض العودة الى مصر ، وأرسل من يخبر أسرته بتنازله عن نصيبه فى ريع الضيعة . كان قلبه قد أسرته عذراء جميلة ذهبية الشعر ، فتزوجها وأنجب منها ، وصار أهلها أهله وكل ابن له أو حفيد يلقب بالمصرى .

عاش باتا هناك فخورا بعمله جنديا تحت إمرة تحتمس الثالث ، السيد بين قادة الحروب ، والذى قام بسبع عشرة حملة فى آسيا ، وعاش محبوبا من المصريين ، حتى أنهم قدسوه بعد موته وكتبوا اسمه على الجعارين كتعويذة لجلب الفوز والقوة ..

● ● ●

طوال حكم هؤلاء الفراعين الذين خلفوا أحمس ، ظل أحفاد نشى قائد السفن الحربية الخفيفة وأبناؤهم وجميع سبطه فى منف ملتزمين بوصيه تقسيم ريع الضيعة بالعدل وعدم تقسيم أرضها .. واستمر هذا الحال فى عهد امنحتب الثانى الذى حكم ثمانية وعشرين عاما ، وكان بارعا فى ترويض الخيول وتوجيه السفن ورمى السهام ..

لكن فى نهاية عهده أصابت الأوبئة إقليم منف وبعض جهات الوجه البحرى ، فتكت بالألوف ، ومات معظم أفراد سبط نشى ، لم يفلت منهم سوى امرأة وطفلها المسمى « أوناس » فراحت تحنو عليه وترعاه خشية أن يرحل فتنقرض سلالتهم من الوجود !

انحسرت الأوبئة وعاش « أوناس ».. وحكم البلاد تحتمس الرابع مدة تسع سنوات وثمانية أشهر ، ومات شابا فى الثلاثين من عمره ..

بينما شب أوناس برعاية أمه ، وعاشا فى بحبوحة وقد انفردا وحدهما بريع الضيعة ..

وكانت أمه تتأمل حال امنحتب الثالث ، وتتعجب من صبر زوجته « تى » ذات الحكمة ، والتى وافقته على زواجه من بنات حكام آسيا لضمان الولاء دون سفك الدماء . تزوج فى العام العاشر من حكمه بابنة ملك ميتانى

القوى ، ثم بابنة الملك التالى له ، ومن أخت ملك بابل وابنتى الملكين السابقين ، ثم ابنة ملك آخر .. كان يحب النساء فاكتظت مملكته بالأجانب !

أما « أوناس » الذكر الوحيد العائش من سبط نشى ، فما إن وصل سن البلوغ حتى زوجته أمه ، وبعد شهور تسعة فرحت بأول أحفادها . رأت الفرعون يتزوج عدة مرات ، وشاهدت موكب ابنة ملك ميتانى يتهادى فوق النيل المبارك فى أسطول يحمل حاشيتها المكونة من ثلاثمائة وسبع عشرة فتاة ، ورأت تتابع مواكب العرائس الآسيويات آتية من الشمال متجهة الى قصر الفرعون ، فحرضت ابنها أن يقتدى بمليكه ، وأحضرت الى بيته محظية بعقد مسجل كزوجة ثانوية ، أنجبت له بنتا ، ثم محظية أخرى رزقت بولدين وبنت ، وماتت الأم بعد مولد أحفادها وقد اطمأن قلبها الى استمرار ذريتها !

لكن كثرة الزيجات جلبت النكد لابنها أوناس . كان حاله مثل حال مولاه ، الذى لم تمنع زيجاته الملكية نسباءه حكام الممالك الآسيوية من التحالف معا للانسلاخ عن التبعية له ، وبدا فى الأفق شبح الانهيار !

فى الأعوام التى لم يتزوج فيها ، شغل امنحتب الثالث نفسه ببناء المعابد فى طيبة والنوبة ، ذات الأعمدة الجميلة ، ومعبده الجنائزى وتمثالى ممنون ، ومن غرائب بنائهما أنهما يصدران أصواتا عجيبة عند كل شروق ، تحية للاله رع !

عاش فى دعة وتسامح دينى ، حتى أن قرص الشمس آتون انتشرت عبادته فى مصر بعد أن كانت مقصورة على مدينة أون (عين شمس) منذ القدم .. ثم مات بعد حكم طال الى ثمانية وثلاثين عاما وسبعة شهور ، دون أن يدرى أن ابنه امنحتب الرابع سوف يزج بالبلاد فى فتنة دينية مدمرة وحروب أهلية ، وتنابذ بين أفراد الأسرة الواحدة ، وبين أحفاد الجد نشى !

تحت اسم امنحتب الذى معناه آمون راض ، توج الفرعون الجديد ، لكنه هو نفسه لم يكن راضيا عن آمون رب الأجداد وراعى فتوحاتهم ، فقام

ـ لكنه أضاع هيبة مصر ، ظل يشرب الجعة وينشد مدائحه فى آتون ، ولايرد على حكام الممالك الآسيوية ، حتى أن أمه جلالة الملكة تى لم تحتمل هرطقته وعادت الى طيبة !

لم تكن تاخارو متسامحة ، فدفعها غضبها الى طلب نصيبها من الميراث ، سدس أرض الضيعة . لكن أختها رفضت الخروج على وصية الأجداد .. وكان بعض الورثة يتمنون تقسيم الضيعة وإن لم يجاهروا بذلك !!

كان الشقاق فى جميع مصر ، وداخل كل أسرة !

ترددت تاخارو فى اللجوء الى المحاكم ، وعندما عزمت أمرها دخلت البلاد في فوضى كاسحة ، حتى أنها عندما ذهبت الى قاعة المحكمة لأول مرة فى مدينة أون لم تجد هيئة المحكمة ، وفى المرة الثانية وجدت القاضى وقدمت شكواها إليه مكتوبة ، وعندما توجهت اليه فى جلسته التالية وجدته تغير .. فلم تيأس بسبب عنادها ، ولم يكن أمامها الا انتظار عودة النظام الى البلاد ثم معاودة تحريك القضية !

● ● ●

غير أن تاخارو وجدت صبيا فى الثامنة من عمره أصبح ملكا . كان اسما « توت عنخ آتون » فتغير الى « توت عنخ أمون » تحت ضغط كهنة طيبة فاحتقرته .. وراح هذا الصبى يسلى أوقاته برحلات الصيد ، تاركا الحكم لثلاثة رجال متنافرين ، رئيس الخزائن ، وكبير الكهنة العجوز (آنى) الذى كان من أتباع آتون مثلها ثم ارتد فاحتقرته أيضا !

أما الثالث فكان كبير البلاط قائد الجيوش « حور محب » الغامض والأقوى ، والذى قبع يرقب تطور الأحداث !

مات الملك وعمره ثمانية عشر عاما . دفنه الكاهن العجوز فى طيبه وانتحل لنفسه الحكم لكن الموت عاجله ، وغرقت البلاد فى بحور الفوضى حتى صار فاعل الشر فى كل مكان ، وكل رجل يصنع لنفسه قانونه .

والرجل يذبح صاحبه ، ولم يعد مضمونا أن يعيش رجل الأمس الى اليوم أو الى الغد . اغتنى اللصوص وافتقر الشرفاء .. تسلط الفأر على القط والقرد على الأسد !

صار الموت للمصريين مثل الشفاء للمريض ، والعامل يقول :

ـ لاتثق بأخيك ولاتتخذ لنفسك صديقا ، فذلك الذى يتناول طعامك سوف يحرض الناس ضدك .. عش لنفسك . حاول أن تنسى همومك ، لازم عشيقتك والموسيقى . اتبع قلبك وهواه قبل أن تأتى لحظة الرحيل الى عالم الصمت ، فما من أحد ذهب الى هناك وعاد ليخبرنا بما رأى !!

اختفت الأشياء الطيبة ، صار النهر دماء والناس منه يشربون .. والجواهر تزين الوضيعات ، ومن كن ربات بيوت سرن فى الطرقات قائلات :

ـ أما من شىء نأكله ؟!

أصبحت البلاد أشبه بمدينة بلا حاكم ، جيش بلا قائد ، سفينة بلا ربان .. وانتهى زمن كان المرء يسير فيه ليلا ويتجول نهارا ، ويتوقف مطالبا بحقه !!

احتاجت البلاد الى منقذ ، وأقوى الرجال حور محب لاتجرى فى عروقه الدماء الملكية . مولود هو فى بلدة شمال الأشمونين ، وتعلم فى معاهد الجيش ، وبفضل دأبه عمل مشرفا على المجندين الجدد ، ثم ترقى حتى صار قائد الجيش كبير أمناء الملك المقيم فى منف ، وبفضله نجت المدينة من القلاقل ، لكنها عانت الفقر والتردى وقطع الأرزاق !

فى عهد توت عنخ أمون قفز الى مرتبة الأمير ، وكان يضنيه تردى حال الناس ، فلما ضاع الأمان رأى أن الحكم لمن قدر وليس لمن ورث !

فى يوم واحد تزوج من « موت نجمت » آخر أميرات الأسرة العظيمة التى أسسها أحمس طارد الهكسوس ثم أضاعها اخناتون عابد قرص الشمس ! .. وبعد الظهر قام الاله آمون ملك الالهة بتتويجه ملكا ، فاضحت

السماء فى عيد والأرض فى حبور والشعب فى سرور .

لكن تاخارو العنيدة المتمردة لم تفرح به لأنه من أتباع آمون رع !

أما هو فما إن جلس على عرش الفراعين حتى أحس بفداحة المسئولية ، قضى نهاره وليله يقظا ، يدرس حالات الظلم التى حاقت بالناس ، فقرر جلالته أن يعيد للقانون هيبته ويمحو الأخطاء والكذب ويردع الطامعين .

استدعى كاتبه ، فجاء بلوحة الأحبار والأقلام ، وراح الملك يملى عليه تشريعه المدنى الجديد ، لاعادة أمن مصر ، قال جلالته :

« على كل مواطن أن يحمل ضريبته من غلال وعدس وعنب وغيرها فى سفينة ويوصلها الى مقر الحكم ، فإذا سلبت منه وهو فى الطريق الى مطابخ الملك أو معامل الجعة بأيدى موظفى أو جنود الجباية ، يطبق القانون على الجانى بجدع أنفه (أى قطعها) ثم نفيه الى بلدة ثارو (القنطرة) .. ويعفى المواطن المسروق من دفع الضريبة هذا العام »

« بالنسبة لعمال الجباية الذين يأخذون من الفلاحين باكورة المحاصيل من قمح أو كتان أو خضر دون وجه حق ، أو يطففون الكيل ، فقد أمرت بمنع هذا العمل الضار وبعقابهم .. أما الأمناء فيجازون خيرا »

« لقد اخترت رجالا مشهودا لهم بالنزاهة ومعرفة التعليمات الادارية وقوانين المحاكم ، وعينتهم حتى يطمئن اليهم السكان ، وأوامرى لهم واضحة ومحددة : لاتجاملوا انسانا أيا كان ، لاتأخذوا هدايا من أحد »

« لقد أمرت بعودة سلطان القوانين فى مصر دون ابطاء أو تراخ

ثم أن جلالته أمر بتدوين هذه التشريعات على لوحة حجرية ضخمة فى طيبة ، وعلى لوحات مماثلة فى المدن الكبرى مثل منف .

قرأت تاخارو العنيدة بنود التشريع الجديد وهزت رأسها مرتابة سنوات طويلة وهى تسمع عن القانون ولاتراه يطبق ، لكنها قررت أن تجرب

حظها وتتوجه الى محكمة « أون » بمجرد وصول قضاة حور محب ، لتطالب بنصيبها فى الضيعة رغم أنف أختها الكبرى !

أما حور محب فهو ما إن اطمأن الى بدء عودة الأمن ، حتى انهمك فى تنظيم إدارات الأقاليم وترتيب فصائل الجيش ، ثم قاد عدة حملات حربية لتأمين حدود مصر الشرقية .. وعندما عاد منتصراً استقبلته منف بترحاب عظيم ، فشق المدينة بجيشه المنضبط .. ثم شد الترحال بأسطوله وجنوده الى طيبه التى رحبت به بالدعاء والامتنان .. وبدأ فى تنفيذ توسيعاته المعمارية فى معبد الكرنك مستخدما حجارة عاصمة إخناتون البائدة .. لكنه قام بتعيين كبار ضباطه فى الوظائف المدنية والدينية !

● ● ●

توجهت تاخارو الى محكمة أون ، حيث كان مجلس القضاء الأعلى منعقدا برئاسة الوزير ، وكانت قد جهزت عريضة شكواها على ورق البردى بخطها الجميل وأسلوبها المنمق .. فتقدمت من منصة القضاء مرتبكة الخطو . قدمت عريضتها . أخذوها وصرفوها ، فمضت محبطة .. لكنها فوجئت بالمحكمة بعد عدة جلسات تقرر إيفاد مندوب الى إقليم منف لمعاينة الضيعة على الطبيعة .

يوم وصول اللجنة القضائية ، استيقظت تاخارو مبكرا ، وجلست أمام المرآة تتزين . طلت شفتيها بالأحمر ، زججت حاجبيها ، لونت جفونها بلون أخضر فاتح ، كحلت أهدابها ، ضفرت شعرها وعطرته ، ثم ارتدت ثوبا ضيقا أظهر رشاقة جسدها !

راقبتها اختها الكبرى ورنيرو فى فضول وحيرة ثم تعجبت :

ـ هل تنتظرين عشيقا يا أختى ؟

ـ انتظر مندوب المحكمة العليا يا أختى الكبرى !

وصل المندوب مع موظفيه ، ووجد أن الضيعة التى مساحتها سبعون أورارا (٥٦ فدانا) تقوم الأخت الكبرى ورنيرو بالاشراف على زراعتها كوكيلة لإخوتها وأخواتها ، فأمر بتقسيم الضيعة بين الورثة الستة

بالتساوى ثم مضى !!

اعترضت ورنيرو ، وشاركها ابنها الشاب « حوى » الاعتراض ، لقد ظلت الضيعة موحدة كما منحها أحمس العظيم لجدهم الأكبر نشى منذ حوالى ٢٢٥ سنة ويجب أن تبقى موحدة ، لهذا قررا التقدم بالتماس لوقف هذا القرار !

طالت اجراءات التقاضى سنوات عديدة ، مات فى اثنائها حور محب ، وورثه ضابطه رمسيس الأول لأقل من عامين .. وزاد قلق ورنيرو على ميراث الضيعة التى تقسمت ، وعلى ولدها « حوى » لأن زوجته لم تلد له ، وخافت انقطاع ذريتها !

بعد رمسيس الأول حكم ابنه سيتى الأول ، الذى انشغل بإكمال توسعات حور محب المعمارية ، فبنى قصر المليون سنة فى أبيدوس ـ وقضية حوى وأمه ورنيرو مستمرة ـ بنى الملك معبدا جنائزيا غرب طيبة ، وأقام مسلة عظيمة فى مدينة أون قرب مقر المحكمة ، وقصرا ملكيا فى « حاو عره » على أنقاض عاصمة الهكسوس ، ونشر الازدهار من الشلال الرابع جنوبا الى البحر شمالا ، وحمى حدود مصر الغربية من قبائل « ليبو » واستعاد بعض الممالك الآسيوية فى فلسطين وتخومها ، وقضية حوى وأمه ورنيرو تتداولها المحاكم !!

وفى أواخر عهده ماتت زوجة حوى العاقر فنشطت أمه لتزويجه من عذراء عفية وإن كانت جاهلة لاتقرأ ، لكن جميع أخواتها المتزوجات منجبات ، إسمها « نوب نفره » أنجبت له طفله موسى ، فرحت به جدته . وقبل أن تموت جعلت حوى يقسم على مواصلة القضية .. وطالت الاجراءات !

الفصل الرابع

الحجر يتكلم

قبل أن يكمل موسى بن حوى عامه الأول مات الفرعون سيتى الأول ، وتولى ابنه المتفرد رمسيس الثانى ، فبدأ يبنى معبدا فى « أبوسمبل » ومعبده الجنائزى غرب طيبة ، ومسلاته وتماثيله العملاقة ـ تأمل الاله أمون رع ذلك وقال لخاصته :

ـ تأملوا هذه المبانى الجميلة التى يبنيها محبوبى رمسيس لتتحدى الزمن ، إنه يشيدها لى ، فهو ابنى مولود من صلبى وجميع أعضاء جسده الهية .

فيؤكد رمسيس فى ورع :

ـ اننى ابنيها بقلب مفعم بالحب ، دارا لمن وهبنى الحياة والأرض .. أنا طليعة الرجال ومؤخرتهم ، الجسور الضليع فى الكلام المفكر فى روية .

لكنه أضطر فى عامه الرابع الى التوغل فى آسيا بجيشه لمقاتلة الحيثيين .. ثم عاد العام التالى اليهم متوغلا حتى حصن قادش (على نهر العاصى) .. رأه جنوده من المشاة ومقاتلى المركبات جسورا مثل الاله « مونتوه » رب الحرب وطيبة ، فأدركوا أن أباه آمون اتحد معه ، وكان الهجوم بألفى عربة حربية .. وكان النصر تاجه !

وعاد جيشه بأمان الى مصر ، بعد أن قضى على بلاد السائرين على الرمال ، وأخمد الفتنة فى أرض كنعان .. وتكررت غاراته مدة سبعة عشر عاما ، انتهت بتوقيع معاهدة سلام مع الأشوريين فى العام الواحد

والعشرين من حكمه ، وتزوج من ابنتى ملكهم واحدة بعد الأخرى ..

وكان قد أبرم مع ملك الحيثيين معاهدة سلام وإخاء ودفاع مشترك وتسليم الفارين ، دونت على ألواح صغيرة حفظت بدار الوثائق بكل عاصمة ، وأمر رمسيس بنقش نسخة منها بالخط الهيروغليفى فى معبد الكرنك .. شهد على هذه المعاهدة وضمن كل كلمة فيها آلهة بلاد خاتى (الحيثيين) وآلهة مصر ذكورا وإناثا ، وآلهه الطبيعة ، وإله الزوابع لمدينة حلب ، وعشتار إلهة صور ، وجميع جبال وأنهار بلاد خاتى ، وجميع جبال وأنهار مصر ، والسماء والأرض والبحر العظيم والريح والسحب !

وبينما كان هو منهمكا فى هجماته المتتابعة ، توفى « حوى » تاركا ابنه موسى فى الثانية عشرة من عمره ، فصار تحت رعاية أمه الشابة « نوب نفره » واختفت تماما فكرة إعادة توحيد الضيعة ، وقد صار لكل وريث حياته الزراعية المستقلة !

بعد عامين فقط من ترملها داهمت الأرملة نكبة قاسية لم تكن فى الحسبان ، أعادتها مرغمة الى ردهات المحاكم ودهاليزها من جديد ..

● ● ●

حدثت هذه النكبة فى العام الرابع عشر من حكم رمسيس الثانى ، عندما ظهر نصاب اسمه « خاعى » ادعى أن أرض زوجها الراحل أرضه هو ، وبمعرفة رجال أشرار وضع يده على الأرض وطردها ووحيدها موسى القاصر !!

ولو كانت الضيعة قد ظلت موحدة بلا تقسيم لما تجاسر النصاب على هذا العدوان !

ذاقت « نوب نفره » وولدها مرارة الذل وهما بلا أرض أو دار ، يستضيفهما الأقارب بالتناوب ، أراد صبيها أن يبحث له عند عمل فرفضت وأصرت على إكمال تعليمه ، مكررة له النصح دون ملل :

ـ بسبب جهلى ضاعت الأرض .. إن رب الآخرة أوزير يغضب عندما يفد

عليه متوفى جاهل ، وسوف يقابلنى بعد موتى قائلا : اتاتين لى ياامراة وأنت لاتعرفين كيف تعدين أصابعك ؟! ..

رفعت أصابعها مؤكدة :

ـ العلم والمعرفة نعمة لمن يصغى اليهما ونقمة لمن يبتعد عنهما . سوف تعمل بعد تخرجك كاتبا محترما عن غيرك ، أنظر على سبيل المثال الى حال الفلاح ، إن الفئران تعيش فى حقله والجراد ينزل على زرعه ، والماشية تلتهم بعضه والعصافير تلتقط الحبوب ، ومابقى من المحصول على ساحة التذرية يسرقه اللصوص ، والثيران تموت فى موسم الحرث .. وبعد كل هذا يأتى كتبة الأرض على ضفة النهر لربط الضريبة على المحصول ، الجنود بالهراوات والنوبيون بالعصى ، ويقولون للفلاح « سلم القمح » رغم أنه لايوجد هناك شىء من القمح . فيضربونه ويربطونه ويلقون به الى البئر ويغطسونه فى الماء رأسا على عقب ، ويكتفون زوجته أمامه ويضعون صغاره فى القيود ، ويتخلى عنهم الجيران ويهربون .. وهكذا تضيع الحبوب على الفلاح .. لكن الكاتب دائما محترم ! .. وأنا أريدك ياموسى محترما !

طمأنها وافهمها أنه تعلم وأتقن فى « دار الحياة » القراءة والكتابة والحساب والهندسة والرسم ، وبعض فروع الطب ، ودراسة الكائنات التى خلقها الاله بتاح ، وكل ماله علاقة بتفتيح الذهن ، كما نسخ حوليات الآلهة وتبحر فى علوم السماء والأرض والعوالم السفلى .

كان موسى يحب أمه ويحترمها ، فهى رغم جهلها بالقراءة حليمة صبورة ذات نظرة ثاقبة بأمور الحياة .. وكانت قادرة على تفسير الأحلام ، وإن لم يعتد موسى بذلك ، وكان يبتسم عندما ترى قريبة أو جارة حلما . فتأتى متوددة الى أمه طالبة منها تفسيرا للحلم . كان من رأيها أن من رأى نفسه فى المنام يأكل الخيار فهذا معناه أنه سوف يتشاجر ، أما أكل التين أو العنب فمعناه المرض ، ورؤية قط ضخم تفسيره حصاد وفير ، والصعود الى قمة سارية يعنى أن الله سوف يرفع من شأن صاحب الحلم ، والسقوط

فى حفرة إشارة الى موت أحد الأقارب .. أما من حلم بنفسه ميتا فله العمر المديد .

وذات ليلة حلمت أرملة بأنها شاهدت نفسها فى المرآة ، وفى الصباح بشرتها أمه بأنها سوف تتزوج ثانية ، وكانت تحب هذه الأرملة التى انصرفت سعيدة متفائلة !

كانت « نوب نفره » الى جانب ذلك ذات يدين ماهرتين ، تقطع بوص البردى وتنسله وتفتله فى حبال متينة ، أو تنسجه أليافا فى حصير لطيف ، أو على هيئة نعال ، تقايض عليها بما يطعمها وتهدى الأهل ..

● ● ●

مع تباشير الفجر زارت قبر زوجها ووزعت الصدقة على روحه ، وبكت ووعدته بأنها لن تستسلم وسوف تستعيد الأرض ..

ويوم انعقاد المحكمة توجهت الى أون تشكو النصاب خاعى .. ومثل القضية السابقة تأجل نظرها مرارا ، من عام إلى آخر الى ثالث ..

ورغم أن موسى كان أفقر التلاميذ ، فإنه أظهر تفوقا كبيرا . وكان يعذبه شقاء أمه وحزنها والعيش معها عالة على الأقارب ، لهذا عمل بعد مواعيد الدراسة لدى صانع توابيت طيب ، ينقش التابوت من الداخل بأدعية وابتهالات وتعاويذ تعين الميت على حسن التصرف والكلام فى الآخرة ، يوم أن يقف أمام محكمة الآلهة ليزنوا أعماله !

ولاحظ موسى أن ثمن التابوت مرتفع جدا لايقدر الفقراء على شرائه . وكان هذه يحزنهم لأن موتاهم يحرمون من الأدعية التى تعاونهم يوم الحساب ، فراح يكتب بعض الابتهالات والأوردة المختصرة على ورق البردى ، حتى يستطيع كل فقير أن يشتريها ويضعها فى طيات الكفن ، لتحل محل نقوش التوابيت غالية الأسعار ..

فرح الفقراء بهذا الحل ، وذاع صيته وكثرت زبائنه . وكان يقبل منهم الأجر بحسب طاقة كل واحد ..

فى مقابل بطة سمينة كتب ابتهالا لأحد الرجال على لسان ابنه المتوفى يقول فيه : « أيها الاله العظيم لك الحمد ، إنى أتى اليك دون خطيئة ، لم أقترف إثما ضد الناس ، لم أتسبب فى جوع أحد ، لم أقتل أو أحرض على القتل ، لم أطفف الكيل ، لم أكن طماعا ، لم أسلب اللبن من فم طفل ، لم أسرق ، لم أضر قطعان المعبد ، وثروتى الصغيرة جاءت بجهدى وكدى ... »

وبأجر رمزى قدره دجاجة وعدة بيضات ، كتب لامرأة ما أملته عليه : « ياقلبى لاتقف شاهدا ضدى . عشت على الحق ، لم يشتعل قلبى حسدا ، لم أثرثر أو أغتب . كنت هادئة الطبع ، عفيفة اللسان . لم أنجس جسدى . لم أجدف على الآلهة أو أسرق أوقاف المعبد . محبوبة من أهلى وأصحابى . عطوفة على إخوتى . ساعدت جارتى يوم ولادة طفلها ، وواسيتها يوم رحيل زوجها .. »

سكتت ثم عادت تمليه : « لم أذبح الناس . لم أنهب الطعام لم أكذب أو أتكبر . أطعمت الجائع ، رويت الظمآن ، حميت الضعيف ، كسوت العارى » .

تأمل موسى بؤس حالها وثيابها وضعف صحتها ، ومع ذلك كتب عباراتها الأخيرة ولم يأخذ منها الدجاجة شفقة بها ، وأخذ البيض حتى لايحرجها !

وكتب لعجوز ينتظر الموت أدعية يتوسل فيها الى الآلهة كى تسمح له أن يعيش فى الآخرة حياة تشبه حياته على الأرض : « لأن ضميرك مرتاح وسريرتك نقية ، فسوف تدخل وتخرج من قبرك كلما شئت ، وتشرب الماء كل يوم . سوف تجلس بين أهل الثناء الموقرين ، ويكون لك فم تتكلم به مثل أتباع حورس . تصعد الى السماء وتهبط الى الأرض كل ليلة لتتريض على شاطىء النيل .. »

وفى مقابل نعجة عشار كتب الرقية التالية وزخرفها برسوم الآلهة بالألوان : « سوف تحيا من جديد وتعيش أبدا ، تعود عيناك الى الرؤية

وتتحرك ذراعاك وتمشى فوق ساقيك ، سوف تتحدث معك الأرواح الفاضلة ، ويكون باب الأفق مفتوحا لك ، تصعد وتهبط دون ممانع ، ويوقد لك مصباح بالليل ويقال لك مرحبا ... »

توسعت أعمال موسى وانهالت عليه الطلبات فكتب من كل دعاء عشرات النسخ ، كى تكون جاهزة للبيع فورا .. وربح أرباحا طيبة أهداها للأهل الذين يستضيفونه هو وأمه ..

ولم يهمل القضية رغم تكرار تأجيلها عدة مرات ، حتى فوجىء بعد أربع سنوات من رفعها ، وفى العام الثامن عشر من حكم رمسيس الثانى ، فوجىء بصدور الحكم لصالح النصاب خاعى !

● ● ●

رأى موسى أمه تنزوى مقهورة كسيرة الجناح ، فتمزق قلبه وأقسم أن يسترد حقهما .. لم يخفف من حزنهما إلا إتمامه الدراسة فى نفس الأسبوع ..

يوم التخرج عادت البسمة الى « نوب نفره » الصابرة وهى تسمع نصائح كبير معلمى المعهد الحكيمة الى ولدها :

ـ تذكر ياموسى أن « تحوت » إله الكتب الذى أعطانا الكلمات وعلمنا الحساب ، والطب والفلك ، تذكر أنه يراقبك ، سوف تشغل وظيفة لائقة ، فابتعد عن الغش فى تدوين المقاييس والأوزان ، لاتقبل هدية من رجل قوى لكى تحرم انسانا ، انقد المحتاج من ذلك الذى ينغص عليه حياته . لاتترك حقك .. ثروة صغيرة مع الاحترام تساوى نهر النيل وقت الفيضان . إن الله ينتزع الخبز من فم الظالم ، والثروة من الطاغية . فلا تملأ فمك دون أن تفكر فى البؤساء .. بالهدوء تتخطى العقبات ، ولن تربح شيئا بالغضب . ابتعد عن الاسراف فى كل شىء لأن خير الأمور الوسط ..

وابتسمت « نوب نفره » عندما قال له كبير المعلمين :

ـ اتخذ لنفسك زوجة وأنت شاب يافع ، ولاتمثل معها دور الرئيس فى

بيتها خاصة اذا كانت ماهرة فى عملها . وانها لتكون سعيدة إذا كانت يدك معها تعاونها . والربان بعيد النظر لن تغرق سفينته .. وعندما يصبح لك بيت مستقل أزرع فى فنائه حديقة وكرمة عنب ..

وانتعش قلبها بنصائح المعلم التالية :

ـ واظب ياولدى على إطاعة والدتك واحترامها ، فإن الاله هو الذى وهبك لها . لقد حملتك فى رحمها وحدها ، وعندما ولدت أرضعتك ثلاث سنوات طوال ، وعندما اشتد عودك ظلت ترافقك كل يوم حتى باب المدرسة ..

وكادت تضحك عاليا والمعلم يحذر ولدها من غواية المرأة قائلا :

ـ إحذر المرأة الغريبة المجهولة فى بلدتها ، والتى تقف متبرجة للقنص ، تلقى شباكها ، وتقول إنى جميلة . سترتكب إثما كبيرا إذا أنت أصغيت الى إغرائها . المرأة ياموسى مياه عميقة يصعب سبر أغوارها . لن تعرف من أسرار قلبها أكثر مما نعرفه عن الكون .. وأخيرا تذكر أنك مهما أوتيت من علم ، فإنه لم يولد بعد ولن يولد ذلك الذى يملك المعرفة الكاملة ، لأنك ان كنت نابها فسوف تتعلم فى كل يوم شيئا جديدا .

أجاب موسى بالطاعة وتسلم شهادة التخرج ، وأفلح كبير المعلمين فى توظيفه كاتبا بمعبد الاله بتاح .. ونال أرضا صغيرة بنى عليها دارا أوته هو وأمه الصابرة . وتحمل عنها أعباء استئناف القضية ضد النصاب خاعى ، عازما ألا ييأس مهما طال الزمن ، فهو ليس بأفضل من الاله حورس بن إيزيس وأوزير الذى تداولت محاكم الآلهة الموقرة قضيته ضد عمه « ست » سبعة وثمانين عاما دون أن تفصل فيها !!

استمعت المحكمة فى أون الى أقواله ، وتسلم الوزير رئيس الجلسة مظلمته منه . وبعد دراستها أمر بإعادة فحص عقود التمليك ، وظهر أن بها تزويرا .. وإذا خاعى النصاب يزعم بأن الراحل « حوى » والد موسى ليس من صلب « نشى » الذى عاش فى زمن أحمس وحارب تحت إمرته لطرد الهكسوس . وبأنه لم يكن فى يوم من الأيام مالكا لأى أرض !

كانت « نوب نفره » حاضرة الجلسة ، فالتمست من الوزير القاضى إرسال مندوب مع خصمها لمراجعة المراسيم الملكية المحفوظة فى خزائن الفرعون بالعاصمة الشمالية الجديدة ..

وكان رمسيس الثانى قد شيد هذه المدينة الجديدة وأطلق عليها اسم « بى رمسيس » أى بيت رمسيس . بناها على أنقاض مدينة « حاو عرة » عاصمة الهكسوس الزائلة التى دكها أحمس ، اختارها بسبب وقوعها شرق مصاب النيل ، على رأس طريق حورس الى آسيا ، وجعل فيها أقوى وحدات الجيش ، الجاهزة للتدخل السريع فى حالة وقوع أى تهديد على الحدود الشرقية ، ونقل إليها دار الوثائق الملكية ..

ذهب خاعى النصاب مع مندوب المحكمة الى « بى رمسيس » .. وفى الطريق رشاه ، فعادا يحملان سجلات تمليك خالية من اسم حوى والد موسى !!

رأى الوزير القاضى « نوب نفره » تكاد تسقط من قسوة القهر ، فأشفق عليها وأمر بإجراء تحريات أخرى ، انتهت بفعل الاعيب خاعى المحتال الى الحكم لصالحه حكما نهائيا ، واستمرار وضع يده على أرض حوى !!

على باب المحكمة اعترض موسى طريق خصمه النصاب متحديا :

ـ أقسم بأبى حوى وجدى الأكبر نشى إنك لن تفلت بأرضنا أيها النصاب ، والأيام بيننا !

● ● ●

يوم الاحتفال بعيد جلوس رمسيس الثانى على العرش ، ارتدى موسى أفخم ثيابه ، ومضى الى مكان الحفل .. فى تمام موعد البدء ظهر الفرعون على رأس موكبه الفاخر ، أمامه الكهنة يحملون تماثيل الملوك الأبطال موحدى مصر ، مينا ومنتوحتب الثانى وأحمس ، تتقدمهم فصائل الجيش والعربات الحربية بمنظرها الأخاذ وبريق معدنها .. وموسى بين أهالى منف المصطفين فى زهو على الجانبين ..

ما إن اقترب الملك فوق عربته حتى اندفع نحوه موسى ملوحا بعريضة

مكتوبة ، لمحه الملك فأشار بأخذها منه .

مضت أيام قليلة وجاءه مندوب المحكمة العليا يبشره بحدوث المعجزة وإعادة نظر قضيته المزمنة بشكل استثنائى ، ذلك أن رمسيس الثانى رفض أن يحيق الظلم بحفيد بطل شارك فى طرد الهكسوس . ونصحه المندوب أن يكون جاهزا بما يدعم حقه من مستندات رسمية وشهود ، لأن المحكمة لن تجامله على حساب الحق .

سهر موسى على دراسة القوانين . ويوم انعقاد الجلسة الحاسمة ، توجه الى المحكمة مصطحبا جيرانه كبار السن ، الذين أقسموا على أنه ابن حوى ومن سلالة الجد الأكبر نشى لأن أسرته عاشت فى هذه الضيعة جيلاً بعد جيل ، ولأن أباه حوى كان يفلح نصيبه من الضيعة حتى يوم وفاته ..

ثم قدم موسى الى المحكمة أوراقا رسمية تثبت أن والده كان يدفع ضريبة الأرض بانتظام عاما بعد عام .. وكانت هى الفيصل ..

هكذا ظهر الحق ، وحكمت المحكمة بأن الأرض ملكه دون منازع . فأشرقت البسمة على وجه « نوب نفره » وعاشت بقية حياتها هانئة مع ولدها وأحفادها ، فى أمن طوال حكم رمسيس الثانى .

وفى شيخوخته بنى موسى مقبرة حجرية للأسرة ، وأمر النحاتين بأن ينقشوا على جدرانها حكاية كفاحه القانونى للاحتفاظ بميراث أبيه عبرة للأجيال القادمة ، فكان له ما أراد ، ومات فى عهد رمسيس الثانى ، لكن نقوشه على الحجر مازالت تتكلم .

مجيد طوبيا

تحقيقات الأيام الستة
فاجعة عبثية هزلية

١ ـ جواسيس الفضاء

بعيدا عن الأرض وضجيجها ، وعلى علو شاهق لايرى بالعين المجردة ، كانت مركبة فضاء أمريكية تدور حول الأرض فى مهمة تجسسية . قامت بتصوير محطات إطلاق الصواريخ والقواعد والمطارات الحربية فى معظم بلاد الدنيا .

بعد إنجاز مهمتها ، وخلال الدورة السادسة ، دخلت الأجواء العليا لمصر . دفع قائدها بمنظاره الفضائى نحو القاهرة . رأى فى جنوبها الأهرام وأبا الهول ، وفى شمالها القناطر الخيرية ، وبشرقها المطار الدولى . لم يستهوه كل ذلك فضاعف من تكبير المنظار . رأى فوق سطح عمارة عالية ثيابا على حبل غسيل ترفرف مع الهواء . بينما النهر يخترق المدينة ، وعلى شاطئه برج الجزيرة الشاهق والمسلة الفرعونية وقريبا من كوبرى قصر النيل عدد من الكازينوهات حيث العشاق ومدخنو الشيشة .

رفع حاجبيه مبتسما يتذكر زوجته أو حبيبته ، ثم اختفت ابتسامته وهو يرى جسما طافيا فوق النهر . دقق النظر مع تقريب الصورة الى الحد النهائى . ظن أن الجسم الطافى جثة غريق . أدخل الصورة الى كومبيوتر المركبة الفضائية فتأكد ظنه . صاح :

ـ جريمة على النيل !

ظن زميله أنه يقصد رواية أجاثا كريستى التى تحولت الى فيلم سينمائى بنفس الاسم ، فنظر وانزعج :

ـ كيف لايرون هذا الغريق ؟!

ثم فاقت دهشته كل حد عندما رأى فوق سطح النهر شراعا كبيرا فوق مركبة ضخمة ، محملة بحمولة هائلة لم يفهم كنهها . قال لزميله :

ـ كأنها شحنة أقمار صناعية صغيرة ، كيف ينقلونها هكذا علانية ؟! ألا يعلمون أننا نتجسس ليلا نهارا ؟!

أدخل صورة الشحنة الى الكومبيوتر ، فارتبك الحاسب الآلى المتقدم جدا . بحث فى ذاكرته العملاقة عن كنه هذه الشحنة الغامضة ولم يتعرف عليها . ظل هذا اللغز يشغل بال ملاحى الفضاء حتى انتقلت المركبة بهما الى أجواء أخرى . لكن قائدها أبرق شفريا بشكوكه الى هيئة الفضاء الأمريكية ، التى أبلغت على الفور المخابرات المركزية الأمريكية فسارعت بإرسال اثنين من أبرع جواسيسها الى مصر لكشف السر على الواقع ، وكانا يجيدان اللغة العربية العامية مثل أى مصرى !

فى نفس الوقت وبفعل تحركات الموجات ، انحرف الغريق نحو الشاطىء قرب الكازينو ، فحجزته دعامة الكوبرى ليظل يرتطم بها ويرتد عنها فى تذبذب ، من غير أن يلحظه أحد !

● **عندما أتى المساء :**

تحسن الجو بعض الشىء ، وكان يجلس على الكازينو سائح ثرى مع إحدى الغانيات ، والى جوارى شيشة ، وبينه وبين الغانية بضع زجاجات بيرة وكباب ومشهيات . هى تمثل عليه دور الساذجة التى تتذوق للمرة الأولى بيرة الزجاجة الثالثة ، وهو يمارس عليها دور الذئب الذى جاء يلتهم النساء بأنياب المال !

كان فى زجاجته الخامسة عندما وجه اليها بعض الكلمات الخارجة ،

تخاجلت وهربت بنظرها بعيدا الى المياه لتخفى هزءها منه ، وإذا هى تصرخ فزعة ، ظن الزبائن أن جليسها يؤذيها ، واستيقظت شهامتهم وهبوا لانقاذها ، ثم شاهدوا مارأت فوجموا يحملقون فى ذهول وخوف !

ولولا تلميحات الثرى الخارجة عن اللياقة ، ولولا تخاجل المرأة المصطنع وغضها الطرف ، لتأخرت السلطات فى العثور على الجثة الطافية !

فى الصباح التالى وصل الجاسوسان الأمريكيان سرا .. وظهرت فى الصحف اليومية تساؤلات بوليسية عن الغريق : هل كانت وفاته غرقا أو انتحارا أو اغتيالا ؟؟ وإن كانت اغتيالا فهل الباعث هو المال أم النساء أم الثأر حيث إنه قادم مع تيار النيل من الصعيد ؟!

فى الصباح الثالث عرف الجاسوسان الأمريكيان سرا الشحنة الغامضة التى أخفق الكومبيوتر فى معرفة كنهها . كانت شحنة بلاليص فخارية قادمة من الصعيد متوجهة الى جهة غير معلومة . وقررا العودة الى وطنهما وتقديم تقرير سرى الى المخابرات الأمريكية ، تم حفظه فى قبو الأسرار ، داخل ملف اسمه « عملية البلاليص المصرية » !

فى نفس هذا اليوم ذكرت صحف القاهرة فى مكان داخلى أن الغريق أحد ضحايا كارثة وقعت فى بلدة صغيرة بالصعيد ، رغم أنه كان بطلا فى السباحة .

حدثت هذه الكارثة منذ أسابيع . وجميع أهالى هذه البلدة يعرفون تفاصيل هذه الحادثة التى جرت وإن كان خفى عليهم بعض اسرارها !

● بداية الحادثة التى جرت :

عددهم يقرب من الخمسين ، يغطيهم العرق . هبطوا الجسر والزورق القديم الكبير يتحرك . غارت تجاعيد أقصرهم وهو يهرول الى حافة النهر ، مثل دب السيرك . نادى متوسلا الى رئيس الزورق الذى كان يبتعد :

ـ ياريس ، عد من فضلك . خدنا معك ، نرجوك .

من ورائه جاء فى حذر أربعة رجال نافرى العروق ، يحملون نعشا ثقيلا . نظر الريس اليهم ثم الى ركابه من عمال المحجر . رجاه بعضهم أن يستجيب ، عدا خبير الديناميت الذى قال إن الزورق كامل الحمولة . توسل القصير من فوق الشاطىء :

ـ ياريس يوليو شديد الحرارة ، المرحوم بدين ، سندفع ماتريد . لم نلحق بموعد العبارة !

ـ لماذا تأخرتم عن موعد العبارة ؟

ـ لسنا نحن ، بل هو ، المرحوم البدين !

عاد الزورق . انّ خشبه مع صعود بعض المشيعين . زاحموا عمال المحجر على الحواف . لم يغفلوا عن نفض غبار الحجارة الأبيض . بعضهم فرشوا مناديلهم من تحتهم . بينما استقر النعش بطوله فى الوسط ، ومن فوقه مظلة مشدودة الى أربعة قوائم خشبية ، من قماش سميك يرف بشدة مع الهواء الساخن . ثم هدرت الآلات ليبتعدوا عن الشاطىء ، وعن رفاقهم الذين لم يجدوا أماكن لأنفسهم . والهواء يدفع الزورق جنوبا ، والمويجات تدفعه شمالا ، وإرادة الريس على الدفة تريد له وجهة الشرق ، وفى نيته الرسو عند حضن السفح الطينى للتل الصخرى ، وإنزال العمال وخبير الديناميت حيث المحجر الذى يعملون به ، ثم مواصلة الانهار جنوبا فى محاذاة الشاطىء الى « نزلة الأموات » المواجهة للمدينة !

فى هذه البلدة يعيش الانسان على البر الغربى ، فإن مات نقلوه الى البر الشرقى ، الى أحضان تل المقطم الذى يمتد شمالا حتى العاصمة ..

أحصى الرئيس عدد المشيعين سعيدا بهذا الرزق الطارىء ! .. وانّ خشب الزورق ثانية وثالثة وصار متواصلا مع الحركة . مد بصره نحو الشرق . التل مازال بعيدا وهم فى عرض النهر الواسع . لم يعجبه ضجيج الآلة . تأمل الطلاء الحديث مستريبا . هذا الزورق لايمكن أن يكون جديدا .

تحركت الأفواه تذكر محاسن الراحل بأنه كان طيبا يساعد المحتاجين . أقبلت عليه الدنيا لأنه أدبر عنها . لكن الجالس عند المقدمة قال فى سره « هذا الفظ العسوف ، أراح واستراح برحيله » .

جفف الجالس أمامه العرق من حول عنقه ، أفلتت منه نظرة ازدراء الى النعش ، ولم يقل شيئا كعادته لا للناس ولا لنفسه ، بينما قطع الرجل القصير الذى يشبه دب السيرك تثاؤبه ، أخبره والده قديما أن روح الانسان قد تخرج مع التثاؤب ، لهذا يضع المتثائب كفه أمام فمه ، أخبره كذلك أن النوم موت صغير ، وأن الموت نوم دائم ، وأن الروح قد تخرج فى شهقة عابرة ، تغادر الأنقياء فى هدوء فترتسم على وجوههم بسمة راضية لرؤية ملاك الرب الرحوم . هذا الراقد فى النعش شهق مرارا ونازع طويلا ، رافضا هجر الدنيا وثروته فيها !

ازدرد النحيف المجاور للمجاور له ريقا كاد يجف ، فتحركت بلحة أدم فى بلعومه ساخطا « كان هذا البدين نكودا دائما ، يسعد بإزعاج الآخرين ، حتى فى موته يموت بعد موعد قيام العبارة ، لنركب نحن هذا الزورق القذر » ثم علا صوته طالبا له الرحمة ، فاهتزت عدة رءوس مؤيدة على مضض !

أحس خبير التفجير الملل ، أنزل يده يلمس الماء ، وجده باردا ، ظن أن مايفعله لايلائم الحال فسحب كفه بسرعة ، هذه المياه خادعة ، لولا ورد النيل الطافى لما عرفت العيون أنها تجرى شمالا ، نظر الى أكثر الجالسين انتحاباً ، يفصح صغر سنه عن أنه ابن المرحوم .

كانت الشمس عمودية فسقطت عليهم ظلال طيور محومة . لاحظها الريس ، رفع رأسه فوجدها مجموعة من الغربان . تشاءم وتقلصت كفه على الدفة سائلا ربه أن تمر هذه النقلة بسلام ، وضاعف من يقظته !

بينما هبطت يد القصير بالجريدة من فوق رأسه ليحرك بها الهواء أمام وجهه . لمح ركن الحظ اليومى . بحث عن برجه « يوم باسم سعيد فى حياتك ، وتحتفل بانسان تحبه » رمق النعش كأنما رأى ابتسامته !

شطح مفجر الديناميت فى تأملات حول طقوس العزاء وذكرى الأربعين . وكان الراحل عند القدماء شبيه انسان خرج يقتنص الطير فوجد نفسه فى بقاع غريبة عليه . وفى نقوشهم صوروا الموت مثل خطوة ، نقاهة من بعد مرض ، مثل غروب الشمس فى خاتمة النهار لتشرق مع الصباح . كانوا يكسرون الفخار فى أعقاب خروج المتوفى كى لايعود ويدس بأنفه فى عالم الأحياء !

التفت الى المدينة ، فى بيت من بيوتها الكالحة تجلس الزوجة مع القريبات والصديقات ، فى ولولة بعضها صادق ومعظمها مجاملة أو نفاق !

● **فى هذا البيت :**

لم تنقطع دموع الزوجة ، مع أن رجلها كان بخيلا رغم اتساع الحال ، لم يعطها حظها وتحول مؤخرا الى الشك وبذاءة اللسان . تحملته لأجل وحيدها .. عندما نازع الموت وفاضت روحه فى الصباح ، كانت ناصحة ولم ترتبك . بعثت ولدها فى طلب الأقرباء ، ثم سارعت الى الدولاب وأخفت الأموال والأشياء الثمينة ، تحسبا لطمع أولاده من زوجته الأولى ، ثم فتحت النوافذ وولولت . بدأت البكاء مع مجيء المعزيات فى ثياب الحداد . من وقتها وهى تولول وتنظر فى نفور الى الجالسة قرب الباب والتى كانت منذ عشرين سنة تطمع فى المرحوم زوجا لها !

● **موازين الحياة :**

أز خشب الزورق فتأكد الريس أنه قديم مستعمل ، وراء شرائه عملية نصب كبرى . لعن الغربان الحائمة من فوقهم .

أما خبير التفجير فقد مد بصره الى الشرق حيث التل والمحجر ، يضع الديناميت فى حفرة ثم يفجره فتتساقط الأحجار ، ويقوم العمال بتسويتها الى مكعبات أو أشباهها ، ليتم نقلها بهذا الزورق الى المدينة ، استدار

غربا يتأمل البيوت ، وخضرة الأشجار المطفأة بالغبار . البيوت غير متجانسة . الأهلة فوق مآذن الجوامع المتناثرة . والأجراس داخل أبراج الكنائس الصغيرة . أغنياء اليوم منازلهم أسمنتية ، والأحجار الملونة لزركشتها . البيوت المطلة على النهر لهم ، وبيوت الفقراء تنحدف غربا قرب الشريط الحديدى وضجيج القطارات ، نزهتهم الصيفية بعد الغروب على هذا الكورنيش ، وأعيادهم فى الجبانات ، يطبخون ويوزعون الصدقات ، ويمرح الصغار بين المقابر وقد غابت عن أذهانهم حكايات العفاريت ، والأشباح ، فى سهو الكبار قد يتسلل مراهق ليختلى بفتاة من عمره ، والموتى لايشتكون !

إسراف فى الحزن ومثله فى الفرح فتتزن كفتا الحياة !

● **ما رأته الطيور :**

أز خشب الزورق بعنف فزاد انقباض الريس . وظلال الغربان تتموج فوق مويجات النهر القاتمة . اغتاظ الخبير من أصواتها ، تمنى لو معه بندقية ليسقطها . صنع من يده مدفعا رشاشا أطلقه صوبها فلم تتساقط ، وإنما الذى حدث وبسرعة مذهلة ، أنه رأى المدينة بأكملها ترتج ليصبح عاليها واطيها ، أسطح المنازل تحت والشوارع فوق . انقلب الحال ورأى السماء تأتى من تحته غارقة فى ضوء ساطع ، ولمح الغربان تتشتت مذعورة ، توهجت الشمس فى عينيه فأغمضهما . شعر بصدمة المياه لرأسه وجسده . عم الظلام وضغطته المياه . انقلب الزورق وتفسخت أوصاله !

فكر الريس أول مافكر فى نفسه ، فاستدار بأسرع مايمكن سابحا نحو الشاطىء ، قبل أن يتشبث به أحد الرجال فيربكه ويغرقا معا !

ولا أحد يعرف يقينا مادار فى خلد الغربان . فى البداية فرت صائحة . كانت تحوم فوق شىء كبير سمكىّ الشكل يصدر عنه ضجيجا مزعجا ، عند حوافه رءوس عديدة بعضها أصلع ، من فوق أعناق لاتكف المناديل عن

تجفيف عرقها ، وأقدام على جانبى صندوق خشبى مستطيل . ثم فجأة تفسخ كل شىء وغطس تحت الماء ، لتتزاحم هذه الرءوس فى حيز ضيق من سطح النهر فى فوضى ورعب ، لهذا فرت الطيور مبتعدة ، فبدلا من أن ترى الأسماك الصغيرة تتواثب من داخل الماء ، رأت هذه الكائنات البشرية تقب وتغطس ، مصدرة أصواتا مستغيثة ، شرقانة شهقانة مختنقة مبقللة ، فى حياة أكبر هذه الغربان لم يشاهد مثل هذا المنظر فى هذا المكان من النهر !

٢ ـ الخبر فى المدينة

عندما وجد خبير الديناميت المدينة تربح دهش ، عندما رأى السماء أسفله بطيورها الفزعة زادت دهشته ، واقع الأمر أن الوقت لم يسعفه للاندهاش . وجد الشمس فى عينيه فأغمض ، ضغطت المياه كل جسده فداخله رعب أثلج أطرافه وأشعره بالابتلال رغم أنه كان غارقا . أراد التنفس فزكمت المياه أنفه . عند هذا الحد ، فجأة وبسرعة ، أدرك أن الزورق غرق وأنه لايتقن العوم إلا قليلا ، لم يخطر على باله أنه سوف يدخل الجيش ويخرج منه ليعمل مفجر ديناميت ثم يركب زورقا يغرق به ، كتم تنفسه وحرك قدميه تلقائيا ، فى تبادل سريع مرتبك لكنه أدى الى ارتفاعه ، أدرك ذلك عندما رأى النور خارج المياه فشهق هواء عميقا .

نسى أنه فى الماء وأراد التلفت حوله ، توقفت ساقاه ، على الفور بدأ يغطس ، فعاد يجدف ، رأى أيادى كثيرة مرفوعة ورءوساً تعلو وتختفى ، وأخشابا تتخابط ، والنعش طافيا مهتزا تتقاطر منه المياه !

تسارعت دقات قلبه فأحس بالقىء وهو يغوص من جديد . رفع يديه فى محاولة يائسة لتحدث بداية المعجزة ، أمسكت كفه بعمود من أعمدة المظلة . ظن أنه يحلم وهو يجد نفسه يحبو فوق الماء بقدميه ويديه ، وهذه هى المعجزة ذاتها !

كان قماش المظلة السميك مفرودا فوق المياه ، تحمل ثقله للحظات قليلة كانت كافية لأن يرى أمامه النعش الخشبى مقلوبا . تشبث به ليجرفهما التيار معا بعيدا عن موقع الحدث ، حيث الألواح المتفسخة وبعض الأشياء المتناثرة ، جرائد وقلم رصاص ومحفظة ومناديل وبعض الأوراق فى طريقها الى الغوص !

● تعددت الأسباب :

اثنان ماتا بفعل الصدمة العصبية ، بعد ذلك هبطا الى القاع ، ثلاثة قتلتهم أعمدة الزورق الثقيلة عندما هوت فوق رءوسهم . ثمانية غطسوا فى استسلام وخرج الهواء منهم على هيئة فقاعات تلاشت عند السطح بين دهشة الغربان المحومة . واحد التفت حشائش نيلية حول ساقيه فغرق وهو فى قمة الغضب . سبعة وعشرون غطسوا وقبوا ثلاث مرات ثم نزلوا الى القاع !

كذلك غرق خمسة أشخاص رغم إجادتهم العوم . ثالثهم كان واثقا تماما من بلوغ الشاطىء . الميداليات فى شقته تشهد أنه بطل سباحة . وكان من السهل أن يصل ، لكنه وجد نفسه فجأة يدور ويدور ، ودوامة رهيبة تجذبه الى أسفل . كان قد اقترب من فتحات المواسير الشافطة التى تسحب المياه الى أحواض التنقية الى صنابير الأهالى !

وهو يفقد الحياة تذكر زوجته المردفة التى يحبها رغم صدها الدائم له ، رحل وهو يجهل أنها تعشق غيره ، وانها انتهزت فرصة اشتراكه فى الجنازة وتوجهت بردفيها الكبيرين الى صديقها العازب ، ضامنة أن الزوج لن يعود قبل الثالثة عصرا !

قبل الثالثة عصرا غادرت شقة حبيبها . من حركة الشارع غير العادية عرفت بنبأ الكارثة . تعرف أن زوجها بطل سباحة ومع ذلك شعرت بالقلق وبأن السماء تعاقبها . بالمثل شعر صديقها بالقلق ، خاف أن تطالبه بالزواج إن هى أصبحت أرملة !

بارع آخر فى السباحة قاس المسافة بينه وبين البر بعينيه ، ورأى أنها لاتشكل مشكلة بالنسبة لمهارته . تخلص من قميصه وبنطلونه ، وعلى عكس الريس قرر إنقاذ صديق عزيز عليه . توجه إليه فإذا هذا العزيز يتشبث به فى عصبية . قبل أن يتخلص منه شعر برجل آخر يتشبث بساقيه . الجميع يعرفون أنه ماهر فى السباحة . وهو يغوص معهما واعدا نفسه أنه لن يفكر منذ هذه اللحظة إلا فى نفسه !

● كأنه الوهم .

أما خبير التفجير فقد ظل متشبثا بالنعش ، مجاهدا لتحويل مساره نحو البر ، أحس رغبة عارمة فى النوم ، أيقظه منها غراب رفرف بجناحيه من فوقه ثم انقض على رأسه بمخالبه وطار . ظل الخبير يحلم بأرض جافة ينام فوقها . أحس رأسه تفلطحت وذهنه توقف والنعش فى عينيه ، وسمكة جائعة تعض ساقه ، حرك رجليه يطردها ، فإذا به يشعر فيما يشبه الوهم أن قدميه تضربان فى الطين . لم يصدق أنه واقف فوق الأرض إلا عندما شد قامته ووجد المياه تغطيه حتى صدره . أفلتت حافة النعش من قبضتيه فواصل رحلته شمالا ، بينما سار هو فوق ساقيه لتنحسر المياه عن صدره ، عن بطنه ، عن ركبته ، ثم وجد أرضا صلبة كالتى حلم بها منذ قليل ، وهو يلهث ودقات قلبه تدق بشدة !

عندما ارتمى أرضا رأى قطرات الماء تتساقط غزيرة منه ، غير مكانه وبعد وقت غير مكانه الجديد . عاد يدرك فيما يشبه الوهم أنه يتقلب فوق اليابسة ، وأنها مريحة جدا لأنها صلبة ، ضحك حتى ملأت الدموع عينيه . حك مؤخرة رأسه فى مكان نهش الغراب . ثم استدار على بطنه ودفن وجهه بين كفيه . اطمأن من رائحة جفاف الأرض فغط فى النوم ، طويلا أو قليلا ، أو ربما لم ينم نهائيا . لكنه ضحك لأنه وهو فى جوف النهر تمنى لو أشعل سيجارة ، ولأن طوق نجاته من الغرق كان نعشا !

● مشروع الزفاف :

فى البداية انتقل الخبر الى بعض الأهالى . ثم ذاع فى أرجاء المدينة

عن طريق عامل الدعاية لدار السينما الوحيدة . كان فى بذلته الصفراء ذات الشرائط الذهبية يطوف الشوارع كعادته كل أسبوع ، معلنا عن فيلمى سينما بالاس الكبرى الجبارين ، وهو يعلم أنها صغرى وأفلامها مهلهلة . بينما هو فى دورته الاعلانية هذه علم بالخبر ، فبعث بصبيانه الى أنحاء البلدة ينشرون الخبر حتى عرفه الجميع .

لكن أثقل المهام تلخصت فى إخطار زوجة الميت بأن راحلها الغالى قد عاود الرحيل ثانية غرقا !

أمام الدار كان عمال الفراشة منهمكين فى إعداد سرادق العزاء . وفى الشقة كانت الأرملة بين المعزيات . مشغولة التفكير فى التركة ومستقبلها ، ذبلت قبل الأوان ولن تجد زوجا جديدا عليه القيمة ، الأفضل أن تزوج ولدها وتبقيه معها فى هذه الشقة الرحبة . انشغلت كذلك بكشف حساب المجاملات . سبعة من المعزيات جئن مكبرات وأزواجهن فى مركب المشيعين ، قمة المحبة والتودد !

شد نظرها وأنظارهن ذلك الرجل الذى وقف أمام الباب المفتوح مرتبكا وفى عينيه سيىء الأنباء . بعد جهد باح بالنبأ الرهيب !

فزعات مقهورات مضت النساء السبع ، وكل واحدة تسأل عن مصير رجلها ، جئن معزيات فانقلبن صاحبات مأتم . حتى بين الموتى يوجد الميت النحس !

ظلت صاحبة الدار مشلولة العقل والبدن . غرق الزورق ؟! غرق رجلها الراحل ؟! فى ستين داهية .. المهم ولدها الوحيد ، كانت تبحث له عن عروس !

● **احداث هامشية :**

من اغفاءته فوق الشاطىء حيث كان منكفئا ، وبعد وقت غير معلوم ، استيقظ خبير التفجير وقد جفت ملابسه من فوق ظهره . هب فى نصف

قومة مباغتة فمادت به الدنيا . لافاصل بين الحقيقة والوهم . اكمل قومته متمهلا ، وقف طويلا يتأمل مياه النهر وهى تجرى فى سكينة وكأن كارثة لم تقع !

أحس خطوه خفيفا وهو يتوجه نحو المدينة ، وكان النهر قد ألقاه شمالا . لم يكن فى يوم من الأيام حريصا على الحياة ، إلا أنه قاوم الفناء ، رغم لياليه الموحشة دون رفيقة تؤنس وحدته !

بعد خطوات عذبه الصداع ، رأى عشرات الرجال والصبية عند مرسى الزورق ، مرتفعين منخفضين مع تضاريس الشاطىء ، ومساحات سوداء من نسوة نائحات . كأن البلدة كلها جاءت ، ووسط النهر عدة قوارب وغواصين . أبهذه السرعة أتوا أم هو الذى نام طويلا ؟!

رأى مدير الأمن تلمع فوق كتفيه رتبه النحاسية . لو سألوه عن الحادث لزعم أنه تأخر فى النوم ولم يركب هذا النهر !

غدا لن يكون هناك معزون ، الجميع أصحاب مأتم ، وسوف تتواصل تلاوة القرآن من مكبرات الصوت، وتتابع الدقات الجنائزية الثلاث من أجراس الكنائس .

مجذوب البلدة لم يصل بعد بدفه . لكن الداية اللئيمة وصلت ، شغلها الرسمى توليد النسوة ، مهنتها السرية إجهاض من حبلت دون زواج أو فى أثناء سفر زوج طال غيابه ، امتلكت ثلاثة منازل ، وتقول إنها تمارس الاجهاض بدافع الخير ، لانقاذ سمعة العائلات !!

الداية اللئيمة تواسى امرأة مردفة تكاد تنهار . هى زوجة بطل السباحة ، وقد صار من المؤكد أنه غرق رغم ميداليات الفوز المعلقة فى شقته !

فى كل مكان باعة الترمس والسميط والمثلجات . شعر بائع الكازوزة بالحرج ، بدلا من أن ينادى : إرو ظمأك ياعطشان ، صار يهتف : إرو ظمأك

ياحزنان . نفدت الكمية التى جاء بها لأن الجميع حزانى فبعث صبيه ليحضر المزيد !

● **عروس النهر** :

واصل الخبير سيره صوب المدينة دون ترنح . طوال عمره يعشق هذا النهر وجلسات شاطئه ، فى صحبة لطيفة أو كوب شاى بالنعناع ؛ مياه النهر عذبة ، يعرف الآن أنها قاتلة . منذ صغره يسمع حكايات الناس عن النيل ، له ضحية كل عام . يقولون إن هذه عادته منذ عاش الناس على ضفتيه ، ربما لهذا السبب كان الأسلاف يلقون اليه مع كل فيضان دمية على هيئة عذراء ، عله يكتفى بها ويتخلى عن بلع الأحياء . كثيرا ماجازت عليه هذه الحيلة ، لكنه صباح اليوم انقلب شرها ، أخذ الميت ومشيعيه . الله أعطى الله أخذ ، الله منه العوض .

تنبه الى دقات دف المجذوب تقترب ، والى سيارة كبيرة تصل ويهبط منها رجل طويل القامة ، التف من حوله بعض الرجال ، قال ودمع العين يسبقه :

ـ نحن وراء هذه الكارثة ، لأن المفروض أن تشيد الحكومة جسرا يربط بين الضفتين بكل الأمان ، ماذا فعل نائبنا المحترم الذى أعطيتموه أصواتكم ، ذهب الى العاصمة ونسى وعوده الطنانة . إذا نجحت أنا فى الدورة القادمة فسوف أعمل يا أهلى وخلانى بكل الاخلاص على إقامة هذا الكوبرى ، لأنى أحبكم وأحب هذه البلدة وأحب مصر ، سوف أرغم الدولة على الاستجابة لمطلبنا العادل بتشييد الكوبرى من أجل جنازات آمنة !

سرعان ماضاع صوته مع وصول المجذوب بثيابه المرتقة ولحيته الكثة . توقف عن دق الدف ليعلن أن هذا من غضب الله . ثم عاد يدق ويدق حتى وصل قارب الغواصين بضحية ، تزاحم الأهالى والشرطة . صرخ الأطفال رعبا . أمر الضباط بابعاد الضحية الى سيارة الاسعاف ، ركبت الأرملة معه ، دقت أجراس العربة مسرعة فى الطرقات الخالية ، ونبض لمبتها

الحمراء يتوهج متقطعا . ثم وصل قاربان معا بغريقين ، بعد حوالى الساعة جاءوا بالرابع . ثم أحضروا ثلاثة دفعة واحدة ، السباح الماهر بدون القميص والبنطلون ، وصديقه العزيز والثالث الذى تشبث بساقيه !

ثم لاحت مشكلة طارئة . أعلن جميع الحاضرين رفضهم لتشريح فقدائهم ، لأن سبب الوفاة واضح وضوح شمس يوليو . ناورهم مدير الأمن لحين حضور السيد المحافظ ، فبيده وحده تلبية رغبتهم .

● الرزق الطارىء :

مازالت الشمس ساخنة ، وبعض الناس جعلوا من الصحف طراطير ثبتوها فوق رءوسهم . نال الأطفال طراطيرهم وترنحوا من حول المجذوب على إيقاع دفه الصاخب !

بينما تأمل حانوتى المسلمين حال الدنيا محدثا ربّه فى أسى : ٥٧ ميتا من بينهم ٤٣ مسلما مرة واحدا يارب ، خسارة كبيرة لأمة محمد .. اللهم لا اعتراض ، ٤٣ زبونا فى يوم واحد رزق كبير . الأيام الأخيرة كانت نحسا ، زبونان فقط فى اسبوع كامل ومن الحى الفقير . جاء الفرج من بعد الكرب ، وكانت الأمور تأزمت ، وكل السلع يزيد سعرها دون نظام . سأجرى تخفيضا للفقراء !

زميله حانوتى المسيحيين نظر اليه فى حسد : السعد وعد ، رجل محظوظ ، أما أنا فرزقى ١٤ فقط ، أقلية نحن حتى بين الموتى . أيام طويلة مضت نسمع فيها عن مواليد ولانرى موتى !

● دموع ابنة العم :

فى زحام الناس وربكتهم ، اقترب فتى من ابنة عمه . أومأ لها فتسللت تتبعه . لاحظ خبير الديناميت أن قميص الفتى أبيض بخطوط زرقاء ، وأن ثوب الفتاة أحمر بورد أصفر ، وأنهما يهرولان مسرعين .

سبقاه الى المدينة . وجدا شوارعها خالية . جذبها الفتى يقبلها ، قبلة سريعة ثم أخرى عنيفة مثل بطلى فيلم فى نهايته ، ثم قبلات مهووسة !

فى المنزل رقم ٦٧ تطور الأمر وضاع الحرص . فقدت بكارتها فراحت السكرة !

ناحت ولطمت متوسلة إليه أن يتزوجها لأنه لاحل الا الزواج . تركها عائدا الى الشاطىء . كيف يتزوجها وهو مازال تلميذا كثير الرسوب ؟!

بعد حين لحقت به شاحبة زائغة البصر . تصورت بطنها المنفوخ بعد شهور فأجهشت باكية . لم تلفت دموعها انتباه أى انسان . رأت عن قرب الداية اللئيمة فارتجفت !

٣ ـ بعض العفاريت

سار الخبير فى طرقات البلدة ، لولا ضوء الغروب لظن نفسه فى الثالثة صباحا . الشوارع خالية إلا منه ومن بعض الكلاب الضالة . وسينما بالاس الكبرى على مدخلها ورقة رديئة الخط : الدار مغلقة حدادا على مصاب المدينة الفادح !

البلدة خاوية ومعدته خاوية ، ومطعم أسماك النيل مغلق ، حتى لو كان مفتوحا فلن يجد من يأكل السمك . تمنى لو كانت معه حبيبة تؤنسه . الشوارع خالية للعشاق . تلفت الى الشرفات فلم يلحظ الفتى وهو يتسلل مذهولا بعد فعلته مع ابنة عمه . لكن الخبير بعد خطوات لاحظ الفتاة تخرج من المنزل رقم ٦٧ تلملم الشعر والثياب باكية . لو كان لصا لسرق أية شقة تعجبه !

صعد شقته ، شم رطوبتها . عذبته كآبة الوحدة . نسى الجوع فلم يأكل . أبدل ثيابه وعاد الى النهر ، والشمس تختفى خلف البيوت . لماذا يعود الى مكان الحادث ؟!

المكان الوحيد المأهول هو المستشفى ، وعربة الاسعاف تتجه اليه ، وعلى الشاطىء رأى الجموع ، سبقه ستة رجال على دراجات حاملين عشرة كلوبات مضاءة ، وقد بدأت الضفادع تنق ، والقمر يصبغ شريطا من

المياه بلونه الفضى ، سار الشريط معه حتى اندس بين الزحام ، وقد جعلت انوار الكلوبات المكان كأنه زحام عرس أو حفل طهور أو اجتماع سياسى !

انفض الناس تدريجيا من حول بقعة مضيئة ، حيث غريق منتشل . نظروا اليه ولم يتعرف عليه أحد . من انتفاخه عرفوا أنه غريق قديم جرفه التيار من بلدة جنوبية سابقة . تأملت عجوز حاله ، لا أحد يبكيه ، ياحزن أمه عليه ، جبرت خاطره ببعض النواح . اغتاظ مدير الأمن ، ألا يكفيه مالديه ليأتيه هذا الدخيل ؟!

مع هبوط الظلام عاد الغواصون الى الشاطىء مرهقين ، بينما هم يشربون اللبن الدافىء ويستبدلون ثيابهم ، وصل السيد المحافظ بعربته السوداء رقم واحد . هبط بين مساعديه بتجهم رسمى . حيّاه مدير الأمن . ظهرت على وجهه تقطيبه صارمة فقيل انه يتوعد المسئولين عن الكارثة . طلب الأهالى منه التدخل لدى الغواصين ليواصلوا عملهم . رفض الغواصون بسبب الظلام . غير أن الرجل الطويل الذى يستعد للانتخابات القادمة تحدث عن ضرورة تعاون الغواصين مع الأهالى المنكوبين ، تسرع المحافظ وأمرهم بالعودة الى الغوص . انصرفوا هاجرين المكان كله ، متثائبين معلنين أن الأكسجين نفد من الأنابيب ، وأن الانسان ليس له خياشيم يتنفس بها تحت الماء مثل الأسماك !

مضى بعض الرجال شمالا بالكلوبات ، بينما مدير الأمن يعرض على المحافظ رغبة الأهالى فى عدم تشريح الغرقى . صمت المحافظ وقتا ، ثم أعلن أنه لن يخرق القانون لأنه يحترم القانون . صرخ فيه أحدهم :

ـ الآن القانون موجود ، عند الاهمال والسرقات والغلاء وهبوط مستوى التعليم فالقانون فى أجازة !

حدجه المحافظ بنظرة متوعدة . ثم رأى أن الكياسة من حسن السياسة ، فأعلن أن نفقات التشييع وسرادق العزاء على نفقة المحافظة . غير أن هذا السخاء لم يغرهم وانصرفوا من حوله الى الباحثين شمالا . أما حانوتى المسلمين فقد ألغى التخفيض الذى كان قرره للفقراء ، مادامت

الحكومة ستدفع .. تذكر إخطارات مأمورى الضرائب له وتمنى أن يخدمهم فى يوم قريب !

● **ليلة السحالى :**

انهمك المجذوب فى رقصة فذة لاتتأتى منه إلا فى المناسبات . بينما مفجر الديناميت يتخيل ماسوف تكتبه صحف الغد عن هذا الحدث الخطير فى هذه البلدة الراكدة . عاوده الصداع وقرر عدم شراء الصحف . تأمل الأحزان من حوله فتذكر آلاف الشبان الذين استشهدوا منذ أسابيع فى حرب الأيام الستة وتركوا فى عراء سيناء !

بينما انصرفت النسوة مع أطفالهن . فى أعقابهن سارت الزوجة الخائنة بردفيها ، معذبة ناقمة على الراحل لأنه لم يظهر بعد ، غلبها الاحساس بالذنب فقررت أن توزع صدقة كبيرة على روحه !

استأجر الأهالى بعض القوارب لمراقبة النهر ، فتناثرت الظلال على سطحه مرتعشة . وتابع الآخرون السير على الشاطىء ، مزعجين الضفادع والسحالى . راقب خبير التفجير ذلك كله مثل الغريب ، شعر بخدر فى مفاصله فانهار فوق الحشائش . مع ابتعاد الأنوار أحس أن جميع ماحدث ويحدث أضغاث أحلام . استلقى يريح بدنه . داعبته نسمة ليلية . أغمض وقبل أن يروح فى النوم فكر فيما سيحمله الغد من مضاعفات !

كان الغد هو مايشغل بال المحافظ . حتى بعد أن عاد الى مقره مشمئزا من ذلك الرجل الذى صاح فيه بوقاحة : عند الاهمال والغلاء وانحطاط التعليم والعلاج فالقانون فى أجازة !

لمح المحافظ الراية ترفرف فوق مقر عمله المواجه ، فأمر بتنكيس الأعلام لمدة اسبوع فى جميع أرجاء المحافظة حدادا على أرواح الشهداء . قد يجد المواطنون فى ذلك بعض العزاء ويتغاضون عن تشريح الجثث . تعلم من ماضيه فى الشرطة أن محضر التحقيق الذى يفتح لابد

أن يغلق ، وكى يغلق لابد من تدوين سبب الوفاة ، يعرف أن البعض يموتون بفعل الصدمة العصبية قبل غرقهم ، وكل هذا يجب أن يدون ، القانون هو القانون !

● عفريت الشاطىء :

قبيل طلوع الفجر تاقت عيون السهارى الى النوم . تعب المجذوب فمضى منصرفا ، والليل يقاوم نور النهار . ما إن اقترب من بقعة الحشائش حتى رأى جسما يشبه الرجل ، ظن أنه من لفظ النهر . فجأة تملكته الرهبة فصرخ رعبا . صحا الخبير من اغفاءته وحاول الجلوس . توهم المجذوب انه أمام عفريت أحد الغرقى . رآه يحاول النهوض فارتعب . فى أقل الوقت كان يقفز مئات الخطوات هاربا الى شوارع المدينة !

لم يتوقف إلا قرب شرطى الداورية ، الذى سأله عما يخيفه فأتى باشارات مبهمة . تثاءب الشرطى ونظر الى ساعته القديمة ، منذ وقت طويل قرأها ٤ر٣٥ والآن ٤ر٣٧ .. يا لها من ليلة بطيئة خالية من الناس . طوال الليل لم يصادف عابرا ليستوقفه ويسأله عن وجهته من باب قتل الوقت !

٤ ـ حلول ديمقراطية

فى قطار الفجر وصلت الصحف ، راح الباعة يبحثون فيها عن خبر مدينتهم الكبير . فى الصفحات الأولى أخبار الرئيس والحكومة ، مجلس الأمن ووقف القتال على شاطىء القنال ، أزمة الشرق الأوسط ، قنبلة اسرائيل الذرية حقيقة أم وهم ، منجم إيطالى يتنبأ بقيام حرب عالمية جديدة ، تعطيل الدراسة فى الجامعات ، حديث لوزير التموين عن اختفاء بعض السلع والتفاصيل صفحة خمسة ، درجات حرارة العاصمة العظمى ٤٠ والصغرى ٢٧ .

بقية الصفحات بها تحقيقات عن هجرة العقول المتميزة الى أوربا أو أمريكا ، تحسينات فى السجون ، وعود من وزير النقل بتحسين المواصلات العامة ، أين تذهب هذا المساء ، تهانى عروس اليوم ، حادث سعيد فى حديقة الحيوانات حيث رزقت انثى وحيد القرن بطفل ، إعلانات عن سيارات وثلاجات وأجهزة مستوردة وشقق مفروشة لسكن عظيم أو شرقى أو أجنبى . بختك هذا الصباح ، اعلانات عن مسرحيات تافهة .. ولا كلمة واحدة عن حادث المدينة الخطير !

● **المحافظ يجد فكرة :**

استيقظ المحافظ من نومه مبكرا على فكرة جديدة ، بمجرد وصوله الى

المكتب فى المبنى المقابل ، أمر مدير العلاقات العامة لتنفيذها . رأى أنه من غير المعقول أن تقيم المحافظة جنازة منفردة لكل ضحية ، المعقول أن تضمهم جميعا جنازة واحدة رمزية ، لفريق واحد ممثلا لزملائه ، أى الواحد الذى ينوب عن الكل !

هرش مدير العلاقات العامة رأسه الأصلع فى تأدب ممتدحا الفكرة وسأل عن الشروط الواجب توافرها فى هذا الواحد . دار المحافظ بمقعده فى لحظات تفكير واقترح إجراء قرعة ، وحتى لايشكك المغرضون فى نزاهتها تكون علنية . أثار المدير تحفظا صغيرا ، وهو أن الناس حزانى ومنهكون من السهر والغم وقد يقاطعون القرعة ، ثم اقترح أن يتركوا الأمر للغرقى ، فيكون أول من يطفو هذا النهار هو الذى يحظى بالجنازة الرسمية . وصدحت موسيقى المطافىءالنحاسية وتصدر المحافظ . المح الى أن سيادته يقصد بالطبع أول من يخرج من المسلمين ، ولابأس من جنازة أخرى للمسيحيين يتصدرها مدير الأمن . واستراح المحافظ لهذا الحل الديمقراطى !

انطلق موظفو العلاقات العامة ينفذونه . اشتروا أقمشة التكفين وأشرطة سوداء تلف حول الأكمام ، ولافتات عليها شعارات مناسبة مثل : فى جنة الخلد أيها الأعزاء .. عند إعداد الفواتير صار الجنيه أربعة . ثم توجهوا الى الشاطىء ، حيث كان الغواصون يبحثون منذ طلعة الشمس . يغوصون ويظهرون فى خيبة ، والأهالى جلوس فى اجهاد . تكاثر الباعة والموظفون فى ترقب .. كل شىء جاهز للموكب الرسمى .. لاينقص إلا واحد من هؤلاء المختفين تحت الماء !

ذهب الصباح وجاء الظهر فتحول قلقهم الى عصبية . أخيرا خرج الغواصون بالرجل المنشود ، وكان فى أقمشة كتانية كامل التجهيز ، كان الميت الأصلى ، ارتاحوا لعدالة السماء ، لأنه أكثر الموتى أقدمية ، ولاتوجد ديمقراطية اكثر من هذا !

● **مكرمة الطيران :**

كان هذا المرحوم الذى مات ثم غرق يتمنى لنفسه دائما جنازة مهيبة .

لذلك حرص فى حياته على تقديم العزاء للجميع حتى يردوا له المجاملة بعد عمر طويل . وكانت جنازته بالأمس محترمة ، وهاهو ذا للمرة الثانية فى مماته القصير يسعده الحظ ويفوز بأخرى رسمية ، فيها طوابير الشرطة والتلاميذ والمحافظ والرتب الكبيرة ، ومن خلفهم رتل السيارات الرسمية فى مقدمتها عربة المحافظ رقم واحد .. إلا أن الجنازة لم تكن شعبية !

بينما فى الشوارع الأخرى سارت جنازات أخرى خاصة وشعبية ، كلما تقابلت إحداها مع أخرى انضمتا فى مسيرة واحدة ، الى أن تلاقت جميعها فى جنازة هائلة لم يحدث مثلها من قبل !

عدا جنازة واحدة كان لها شأن آخر ، فبعد وضع صاحبها فى النعش ، حمله أربعة من أهله ، ما إن حملوه حتى صاحوا بأنه خفيف كالريشة ، وبأنه طائر فى الهواء ، فى مكرمة من مكرمات الأولياء الصالحين والمرحوم كان ورعا ، ولو تركوه لن ينزل الى الأرض ، لكنهم لم يحاولوا ذلك !

جروا به هاتفين أنه يقودهم ، والمشيعون من ورائهم ، من زقاق الى حارة الى طرقات . بينما هم يجرون مروا على جنازة صغيرة لأحد النصارى ، الذى كان فى صندوق داخل عربة نقل الموتى المزركشة ، وكانت وفاته طبيعية . اندهش أهله من الجنازة الراكضة . بعد عدة خطوات اندفع أربعة شبان الى العربة وأخرجوا الصندوق ، بمجرد أن حملوه صاحوا أنه خفيف وأنه يطير ، لأن المرحوم كان قديسا ، ثم جروا به غير مبالين بنهى الكهول . ركضوا بالمسيحى الطائر محاولين اللحاق بالمسلم الطائر حتى صاروا معا كأنهم فى موكب واحد راكض !

صادفوا الجنازة الشعبية الضخمة ، فانتحوا الى طريق آخر ، لتقابلهم لسوء حظهم الجنازة الرسمية الصداحة بالموسيقى الحزينة !

سأل المحافظ أكبر الضباط عن سر مايراه ، فسأل الضابط الكبير ضابطا أقل منه ، الذى سأل صولا ، الذى سأل شرطيا ، الذى أسرع بضرب أحد الراكضين صفعة قانونية على قفاه ، وعرف منه أن صاحب النعش المسلم وصاحب الصندوق المسيحى يرفضان الصعود الى العبارة

ويرغبان فى الدفن بالمدينة ، كل واحد فى مقام له قبة وشباك للنذور !

اغتاظ المحافظ ، لا هذا ولى ولا الآخر قديس . أمر أحد الضباط بالتصرف . فأسرع مع شرطته يعترضهم . قال المسلمون أن المرحوم طائر بسره الباتع ، وأعلن النصارى أن مرحومهم طائر بسره الباتع وبركة القديسين . لم يجادلهم وجعل أربعة من شرطته يحملون الأول ، وأربعة آخرين يحملون الثانى . نفذوا الأمر وساروا بالنعش والصندوق دون اعتراض من أيهما !

أمام مرسى العبارة تمنى أقارب الاثنين أن تحدث المعجزة لصالحهم . خاب أملهم ، ووقفوا محبطين ، وقد استقر النعش الى جوار الصندوق فوق العبارة دون أدنى اعتراض !

وقفوا محبطين ينتظرون وصول المحافظ والجنازة الرسمية .

● **العدالة السريعة :**

وصل المحافظ بنظارته الشمسية مع معاونيه بنظاراتهم الشمسية ، ثم مشيعو الجنازة الرسمية ، ثم رتل السيارات يتقدمها السيارة رقم واحد .

اندفع أحد الأهالى المحيطين نحوه مطالبا بالقصاص من المسئولين عن كارثة المدينة . رد فى اقتضاب بأن العدل سوف يأخذ مجراه . اعترضوا لأن المحاكم حبالها طويلة وقد تستمر القضية سنوات قبل الحكم ، وأنهم يريدون عدالة سريعة عن طريق لجنة خاصة تبت فى الأمر بسرعة .

لمعت عيناه خلف نظارته السوداء ، ووافق على فكرة العدالة السريعة ، بشرط أن يحضروا له طلبا مكتوبا موقعا عليه من الآخرين ! .. ثم انصرف فى سيارته رقم واحد ، وهو يفكر فيمن يختارهم لهذه اللجنة .

من فشل جنازة الصباح الرسمية توقع فشل سرادق المساء . حضره الموظفون فقط ، والمجذوب الذى لم يكف عن أخذ السجائر ووضعها فى جيبه . مازال يحتفظ لنفسه بسر العفريت ، خاف ان باح به عاد العفريت

الى الظهور له ، وهو لايعلم بعد إن كان طيبا أم شريرا !

ظل المجذوب طاويا سره فى صدره مدة يومين ، لكنه فى الثالث لم يطق صبرا وأفشى به الى أول صديق قابله ، لخيبته كان يعمل مرشدا سريا ، عرف ذلك عندما استدعاه ضابط المباحث ، وتفاهم معه بالحسنى عن طريق ثلاث صفعات أقنعته بالكف عن سيرة العفريت وكل ماله صلة بالحادثة التى جرت !

٥ ـ عودة الغائب

على مدى أيام متباعدة ، ومن بلاد متتالية ، أعيد بقية الغرقى الى ذويهم ، عدا زوج المرأة الخائنة المردفة ، التى ظلت تنتظره راغبة فى التكفير عن ذنبها . طالت الأيام ولم يظهر فانقلبت مشاعرها المنهكة الى الضيق ثم الكره . طفا الجميع عداه ليطيل عذابها ، لن توزع صدقة على روحه ، ليفعل ذلك أهله وما أحبوها قط ، وستتزوج فى أول فرصة علها ترزق بوليد يعوضها عن فقد وحيدها !

توالت الأيام أكثر ثقلا . حتى حبيبها تهرب منها . تغضن وجهها وتلفت أعصابها ، والجيران يعطفون عليها ويقولون إنها على ذكرى راحلها مبقية . راقبوا هزالها وقالوا إنها مثل ناعسة زوجة أيوب أنشودة فى الوفاء . الى أن طفا ووجهه الى السماء ليلا ، والنجوم لألاءة والقمر يقرب من نصف استدارته . وفى السماء أنوار حمراء تنبض فى بطن طائرة نفاثة عملاقة سبقته الى القاهرة ، التى بلغ مشارفها قرب الفجر ، ومشهد الشروق بديع . حلقت الطيور المبكرة ورأته لكنها لم تحط عليه !

ظل يرتحل فى سكينة الى أن تمكن ظهرا من العبور بين دعامات أولى الكبارى ، مقتحما بذلك المياه الاقليمية للعاصمة من غير أن يلحظه أحد ، وقد صارت الشمس حارقة ، وطرقات المدينة خالية إلا من الراكبين

منحشرين مثل السردين فى المواصلات العامة ، وجميع قوارب النهر مربوطة الى الشاطىء ، وقد لاذ أصحابها بالأماكن الظليلة ، والى أن رأه ملاح الفضاء وانزعج ، ورأى زميله شحنة البلاليص التى حيرتهما معا وأربكت كومبيوتر المركبة المتقدمة جدا وشغلت المخابرات الأمريكية ، ثم حل المساء وغازل السائح الثرى الغانية فادعت الخجل وغضت البصر ورات الغريق ، فانتشلته الشرطة وأعادته الى مسقط رأسه ، حيث كانت سينما بالاس الكبرى قد عادت الى عروض أفلامها الجبارة ، والمقاهى الى اذاعة شرائط الأغانى الممنوعة من الراديو ، والناس ينتظرون كشف المجرم المسئول والمحافظ مازال يشكل لجنة تحقيق العدالة السريعة !

نال بطل السباحة جنازة حافلة شارك فيها أغلب الأهالى ، أذكت فيهم المواجع القديمة ، كل واحد تذكر فقيده ، علا البكاء . ناموا واستيقظوا . وعندما خرجوا من بيوتهم قرأوا على جدران المنازل كتابات متعجلة الخط ، كتبت أثناء الليل فى خشية من الشرطة : القصاص أيها المحافظ !

ثم تمرد المجذوب على خوفه من العفريت والشرطة . أخبر بعض الرجال بحكاية عفريت الشاطىء . توجه بعضهم الى المكان المزعوم . وعادوا وأكدوا أنهم رأوا أثر العفريت . على الفور توجه الأهالى الى هناك مابين مصدق ومكذب وساخر . تبعهم باعة الترمس والسميط والمرطبات . وجاء الكهول وحكوا حكايات عن وجود طائفتين من العفاريت ، الأولى طيبة مسخرة لخدمة الناس الصالحين ، والأخرى شريرة تهوى أذية الانسان ، منهم فارغ العين الذى يخطف الأنسة الجميلة ليتزوجها تحت الأرض !

● **محو الأثر :**

سواء أكان الأثر لعفريت أم لخبير التفجير ، فقد جعلهم يتذكرون أن مسئولا واحدا لم يعاقب !

رأى كبار الموظفين أن الحل هو إزالة أثر العفريت . اجتمعوا وتشاوروا أثناء المواعيد الرسمية ، التى امتدت الى ساعات إضافية مدفوعة الأجر .

قرروا بعدها مد كورنيش النيل ثلاثة كيلو مترات شمالا ، شملت أثر العفريت ، فتغيرت معالم الموقع ، أصبح بهيجا ، وصار متنفسا للأهالى يقصدونه فى الأمسيات .

لكنهم فى هذه الأمسيات صاروا يتحدثون عن إفلات المجرمين ، ثم اجتهدوا وأشاروا بالاتهام الى أعضاء لجنة المشتريات ، واللجنة الهندسية التى استلمت الزورق المغشوش ، ومهندس تراخيص التشغيل الذى تغاضى ، ومن يترأسون هؤلاء جميعا !

أما الفتاة التى تهورت مع ابن عمها التلميذ الخائب ، فى المنزل رقم ٦٧ فقد كان لون وجهها يزداد شحوبا . لاحظت أمها حزنها ، استبعدت هاجس أن يكون شاب ماغرر بابنتها المهذبة ، لكنها أخذت تترصد موعد دورتها الشهرية للتأكد . لسبب ما تذكرت الداية اللئيمة !

إزاء نفاد صبر الأهالى تشكلت لجنة تحقيق العدالة السريعة . وقيل انها اكتشفت شاهدا جديدا غير ريس الزورق هو خبير الديناميت .

● **أخبار اللجنة :**

بعد البحث المضنى والتقصى الدقيق والتمحيص المحكم ، وبعد الرجوع الى الوثائق والمستندات الأصلية ، ثبت للجنة العدالة السريعة مايلى :

تسعة أفراد من الغرقى كانوا من مواليد برج الميزان ، وكان حظهم يقول : « أنت على موعد مع الحب ، ويعظم أملك فى تحقيق رغبة قديمة » .

ثمانية آخرون كانوا من برج العذراء ؛ « تحتفل بإنسان تحبه ، مال يأتيك والعناية ترعاك » .. ثلاثة من العقرب : « وثبة موفقة وتسبح فى سماء البهجة » ..

كما ثبت للجنة العدالة السريعة ، ودون أدنى شك أن برج الدلو لم يغرق منه أحد ، وأهابت اللجنة بعلماء البلاد أن يبحثوا علميا عن السر وراء عدم

غرق أحد من هذا البرج !

اتضح كذلك أن برج الأسد لم يحظ بنصيب الأسد ، انفرد به غريق واحد هو ابن المتوفى ، وبخته يقول : « متاعب فى السفر والمال والعاطفة والبيت » .. أما والده الميت الأصلى فقد أربك اللجنة ، اكتشفوا أنه عاش ومات وهو لايعرف يوم مولده الحقيقى ، فهو حسب شهادة الميلاد يكون خاضعا لبرج الدلو ، وحسب مولده الحقيقى فمن الجائز أنه كان من برج العقرب أو الجوزاء ، لأن أهله سجلوا اسمه بعد مولده بحوالى الشهر أو الشهر ونصف !

أما خبير التفجير فقد انفرد ببرج الحوت : « كن حذرا وأنت تسير فى الشارع ، يوم مناسب لتبادل العواطف » وهو الوحيد من بين الركاب الذى نجا ، كيف يغرق الحوت ؟!

أما رئيس الزورق فلم تعرف اللجنة برجه لجهله بالقراءة . لكنه اعترف بأنه كان يقود الزورق وحده لأنه أسطى قديم وبأن مساعديه تغيبا . وأقر بأن الميكانيكى غرق داخل غرفة الآلة . فلما طالبوه بذكر أسباب الكارثة ، فكر قليلا واعترف بأن الحمولة كانت زائدة ، وأن الزورق كان مغشوشا ، عتيقا فى طلاء جديد !

لمح الغضب والوعيد فى عيونهم ، فراجع ضميره وأوجز رأيه فى حنكة المجربين ، قال إن الأعمار بيد الله ، وإن علة الكارثة أنها حومت من فوقهم ، سألوه فى لهفة :

ـ طائرات الأعداء النفاثة ؟!

ـ بل الغربان

● **الكياسة والسياسة** :

تعددت اجتماعات لجنة العدالة السريعة . وبدا أن الناس نسوا الأمر ، وعادوا الى أحاديثهم الروتينية عن كرة القدم وانفلات الأسعار والفضائح

الصغيرة وهبوط مستوى التعليم والمواصلات والعلاج !

لكن لوحظ أن الأطفال صاروا أكثر ميلا الى العنف والتحفز !

وظل الجميع ممتنعين عن أكل السمك النيلى !

فلما سرت شائعة بأن التهمة لم تثبت على أحد ، تمزق صبر الناس ، وراحوا واحدا تلو الآخر ، دون سابق اتفاق ، يتوجهون الى مبنى المحافظة ، حتى حوصر فى ساعات قليلة ، وجاءت شرطة الأمن المركزى بهراوتهم والقنابل المسيلة للدموع . وتوتر الموقف !

لكن المحافظ رأى أن يجرب الكياسة التى هى من حسن السياسة . خرج الى مواطنيه ، أطل عليهم من الشرفة وبيده مكبر صوت . ثم دوى صوته وصداه ، معلنا فى حزم حل لجنة التحقيق لأن الألسنة لاكتها ولم تحقق العدالة السريعة ، واستدعاء محقق غريب عن المدينة كى يكون عدله محايدا !

٦ ـ الكلب الأعجمى

وصل المحقق الغريب . كان متجهما عازفا عن الكلام ، بنظارة قاتمة وقفا غليظ . كانت أولى قراراته لدهشة الجميع هى الاستعانة بكلب بوليسى مدرب !

تعجبوا : كيف يشم الكلب أدلة اتهام غير ملموسة ؟! كيف تتعرف أنفه على مستغل النفوذ ؟! هل للرشوة رائحة ؟!

غير أن العليمين ببواطن الأمور أكدوا أن الخبير محايد ، إذا رأى أن أنف الكلب قادرة على كشف المجرم فهذا تخصصه ، والكلاب أنواع !

لكن المشككين روجوا شائعة تؤكد أن الكلب ملك للمحقق وأنه يؤجره لطالبى العدالة المحايدة بأسعار عالية !

أعلن المحقق الغريب أن تحقيقاته سوف تكون سرية ولمدة ستة أيام فقط . الأمر الذى أقلق مدير الأمن . ستنتهى الأيام الستة الى غموض البداية ، ويثور الأهالى من جديد ، خاصة أن الغلاء يغيظهم .. إلا إذا شغلتهم فضيحة أكبر ، فمن أين له بهذه الفضيحة ؟

أرسل يستدعى الداية اللئيمة ، يعلم أنها من مصادرهم السرية بحكم دخولها البيوت ، من أجل هذا يتغاضى عن خرقها لقانون تحريم الاجهاض .

BIBLIOTECA CENTRAL

كان يجلس ملولا مع أحد الضيوف عندما أدخلوها اليه . تأملت ضيفه ولم تتعرف عليه ، وهى التى تعرف جميع رجال البلدة . تأملت صفاقة وجهه ورفضت الكلام أمامه . قد تكون واشية لكنها لاتفشى خطايا بلدتها أمام شخص غريب !

إزاء تهديد مدير الأمن باحت بسر عملية إجهاض فتاة الدار رقم ٦٧ والتى حملت يوم النكبة من ابن عمها التلميذ الخائب !

بعد انصرافها هز رأسه أسفا لأن هذه الفضيحة غير كافية لشغل الناس ، وقد تنتهى بقتل الفتاة أو ابن عمها . لكن ضيفه الغريب قال بوجهه الصفيق :

ـ إلا إذا حدث تعديل طفيف فى شخصية الفاعل !

وبدأت أيام التحقيقات الستة .

● **اليوم الأول :**

عندما تسربت الأسرار فى المساء ، قيل إن المتهمين جميعا نفوا مانسب اليهم . لذلك سأل المحقق المتهم الأول وهو ريس الزورق ، ومارس معه محاورات حصيفة ، انتهت بأن ألقى المتهم المسئولية على عاتق الآخرين . فما كان من المحقق إلا أن عرضه على الكلب البوليسى الفذ الذى تشبث به . عندئذ رفع حاجبه الأيسر متحديا :

ـ هل تعترف الآن ؟

ـ أطعن فى أمانة هذا الكلب !

ـ غدا نجرى التجربة ثانية للاطمئنان . إن أصر عليك أعلنا للناس أنك المذنب الأثيم .

فى هذا اليوم تسربت أيضا أقاويل أخرى الى الأهالى عن طريق الداية اللئيمة ، دارت حول فضيحة فتاة المنزل رقم ٦٧ ولكن بشكل غامض !

● **اليوم الثانى :**

طبقا للأسرار التى تسربت بعد المغرب . من الجلسة السرية ، ثبت أن الكلب جرى من فوره الى المتهم الثانى ، وكان هو ذاته محرر باب البخت فى الجريدة شبه الرسمية ، والذى لو صدقت تنبؤاته لما غرق الزورق ، لأن حظوظ الراكبين كانت ذلك اليوم حسنة !

فرح المتهم الأول ، وتعجب المحقق ، لكنه سأل الثانى إن كان يعترف فأنكر ، حذره قائلا :

ـ هذا الكلب ليس من كلاب هذه البلدة ، هو حيوان أعجم محايد ، ومن المؤكد أنه لاتوجد بينكما عداوات شخصية .

غير أن المتهم الثانى تمادى فى الانكار . فقال المحقق :

ـ غدا وللمرة الثانية نعرضك على الكلب . إن أمسك بك كان فى ذلك البرهان الحاسم .

فى هذا اليوم أيضا أضافت الداية اللئيمة أن الذى غرر بالفتاة المسكينة شاب من أبناء البلدة !

● **اليوم الثالث :**

مر هذا اليوم حارا ، وعرف فى ليله وبشق الأنفس ماحدث فى جلسة الصباح المغلقة ؛ إذ ترك الكلب المتهمين الأول والثانى وهجم مباشرة على الثالث ، وهو خبير الديناميت . الذى انكر غاضبا . احتار المحقق ورأى المحافظة على التقاليد السابقة ، بإعادة عرضه على الكلب مرة أخرى .

فى هذا اليوم أيضا سمع الأهالى وبدون شق الأنفس ، أن الذى غرر بالفتاة المهذبة ليس من عشيرتها ، وأن السلطات تخفى اسمه حتى لايقع الشقاق الطائفى بين الأهالى !

● اليوم الرابع :

بصعوبة شديدة جدا عرف الناس أن ماحدث فى الجلسة الرابعة لم يختلف فى شىء عنه فى الجلسات السابقة . غير أن الكلب أثناء توجهه الى المتهم الرابع ، وهو رئيس لجنة المشتريات ، تلكأ أمام المحقق نفسه . لكن غالبية الناس اهتموا بموضوع الفتاة وبطلب الثأر من المعتدى الآثم الذى ليس من عشيرتها ، والذى ماتمكن من اغتصابها حسبما سمعوا إلا بعد تخديرها !

● اليوم الخامس :

وفيه كانت احتياطات السرية فائقة ، فلم يتمكن أحد من معرفة ماحدث . غير أن مجال التخمين كان سهلا . فقط تباطأ الكلب أمام المحقق ثانية وهو فى طريقه الى المتهم الخامس ، وهو مهندس التراخيص . وقيل إن الكلب نظر بعين الاتهام الى صورة المحافظ ، فتأجل التحقيق الى اليوم التالى !

لم يهتم الأهالى بما سوف يحدث فى اليوم التالى . كانوا يفرغون شكوكهم فى تخمين اسم الشاب المتهم بارتكاب الفاحشة وفى كيفية الانتقام منه ومن جميع شبان عشيرته . أشعل غضبهم اختفاء الفتاة وأسرتها !

● اليوم السادس :

قرر المحافظ إلغاء مهمة المحقق ، وتكوين لجنة متأنية تدرس دون تعجل أفضل السبل المؤدية الى تكوين لجنة تحقيق سليمة خالية من عيوب الأولى ومن مثالب المحقق المحايد وكلبه الأعجم ، والبحث فى إمكانية التحقيق من جديد على أسس عدلية مبتكرة بعيدا عن الاندفاع !

وقد رأى المحافظ أن الخطأ كل الخطأ كان فى اعتمادهم ، وهم الناس العقلاء ، على عدالة أنف كلب أعجم لايتمتع بذكاء الانسان ، هذا الانسان الذى تمكن بعبقريته من النجاح فى مواصلة اكتشافاته المظفرة لفضاء الكون الغامض ،،

Bibliothèque-Discothèque
COURONNES
66, Rue des Couronnes
75020 PARIS
Tél. : 47 97 80 84

رقم الايداع : ١٩٩٥ / ٤٠١٧
I · S · B · N
977 - 07 - 0398 - 2

ترقبوا أهم الروايات فى الأعداد القادمة

- الحب فى المنفى — بهـــــاء طاهر
- مريمة .. والرحيل — رضـــوى عـــاشـــور
- قط وفـــأر فى قطار — فـــتـــحى غـــانم

هذه الرواية

مجيد طوبيا

● من مواليد المنيا عام ١٩٣٨

● يكتب الرواية والقصة القصيرة ، والسيناريو السينمائى .

● ترجمت اعماله الى اللغات الفرنسية ، والايطالية ، والانجليزية والالمانية .

● نشر مجموعته القصصية الاولى "فوستوك يصل الى القمر" عام ١٩٦٧ . ومن اهم رواياته "ابناء الصمت" و "الهؤلاء" و "غرفة المصادفة الارضية" ، و "حكاية ريم الجميلة" ، و "تغريبة بنى حتحوت" .

- من مجموعاته القصصية : "خمس جرائد لم تقرأ" ، "الوليف" و "الحادثة التى جرت" ..

- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٨

سيظل هذا النهر شاهداً صامتاً على ملايين الحكايات التى حدثت على صفحته .

ومن الحكايات القديمة ، اختار مجيد طوبيا قصة ذلك الميراث العجيب الذى كان على الورثة الامتثال له فى عصر أحمس .. ومن هذه الحكايات ماسيحدث فى الغد حين تتمكن الاقمار الصناعية من رصد الجرائم التى تحدث على الارض .

إنها حكايات مأساوية مليئة بالسخرية ، وبقدر ماهى مثيرة للرثاء ، بقدر ماتثير الضحك ، وقد جمع الكاتب حكايات حقيقية ، فمزجها مرة بأجواء التاريخ المصرى القديم ، ومرة أخرى باجواء الخيال المستقبلى .

القمر يولد على الارض .. ابداع متميز لكاتب عُرف بقدرته الخصبة على الحكى .

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة ... إلخ .

صدر من هذه السلسلة :

سان الباهت .	طيبة أحمد الإبراهيم
ياة مرة أخرى .	نوال مصطفى
ويم المغناطيسى .	يوسف ميخائيل أسعد
العازب .	محمد حسن الألفى
شرفات التاريخ جـ ١ .	د . محمد رجب البيومى
لثوم .	مجدى سلامة
ة العاملة .	سوزان عبد الحميد أغا
ة الفكر الفلسفى .	يوسف ميخائيل أسعد
مح الخفية (جبران ومى) .	لوسى يعقوب
د الحليم حافظ .	مجدى سلامة
راض رجل .	طيبة أحمد الإبراهيم
خصية المتطورة .	يوسف ميخائيل أسعد
مد عبد الوهاب .	مجدى سلامة
خصية السوية .	يوسف ميخائيل أسعد
خصية القيادية .	يوسف ميخائيل أسعد
سان المتعدد .	طيبة أحمد الإبراهيم
خصية المبدعة .	يوسف ميخائيل أسعد
وفن وذكريات .	لوسى يعقوب
ة الحظ .	محمد حسن الألفى
كولوچية الهدوء النفسى .	يوسف ميخائيل أسعد
لام والمخدرات .	د . نوال محمد عمر
شرفات التاريخ جـ ٢ .	د . محمد رجب البيومى
خصية المنتجة .	يوسف ميخائيل أسعد
رة مشكلات وحلول .	مجدى سلامة
ل الحقيقة .	طيبة أحمد الإبراهيم
رة معاوية ، وملك بنى أمية .	عرفات القصبى قرون
كرات خادم .	طيبة أحمد الإبراهيم

اعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨ ، ١٠ ، ١٢ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
عباسية ـ المكتبات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى بالفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى ـ روكسى ـ مصر
ـــدية ـ القـــاهرة ت : ٢٨٣٥٥٥٤ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ ج . م . ع / فـــاكس ـ 2596650/203